دراسات قرآنية

لطائف البيان في علوم القرآن

دراسة منهجية هادفة

تأليف

الدكتور/ مصطفى أكرور

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية

بجامعة الجزائر

دار الإمام مالك للكتاب

025.39.13.18

بسم الله الرحمن الرحيم

كل الحقوق محفوظة

1424هـ — 2004م

الطبعة الأولى

رقم الإيداع : 2004/2791

ردمك : 9961.748.32.8

دار الإمام مالك

تطلب جميع منشوراتنا من مكتبة الإمام مالك
باب الوادي - الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد،إمام الدعاة وقائد الغر الميامين،الرحمة المهداة،والنعمة المسداة،وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين،ومن سلك سبيلهم،واقتفى آثارهم،واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

وبعد،

فهذه أبحاث في علوم القرآن،طبق المنهج المقرر على طلاب كلية العلوم الإسلامية وهي عبارة عن محاضرات،قمت بتنسيقها،وتنقيحها،خصيصا للطلاب الذين هم في طور الدراسة والتحصيل العلمي،لتكون لهم بمثابة مقدمات ضرورية لأبحاث علوم القرآن الكريم،التي تمس الحاجة إلى استيعابها،والإحاطة بها،وقد حاولت أن أعزو الأقوال إلى مصادرها المعتمدة،كما راعيت فيها البحث المتوسط،المقتصد بين الإيجاز والإطناب.

معرضا عن ذكر الجزئيات والتفاصيل ما أمكنني ذلك،فهي مساهمة متواضعة في خدمة كتاب الله تعالى وعلومه، وما أظنني أتيت بجديد على الساحة العلمية،فالناس جميعا عالة على ما خلفه لنا علماؤنا -رحمهم الله تعالى- من ذخائر العلم والحكم،في شتى المجالات، فإن أكن قد وفقت بها فذلك من فضل الله وتوفيقه،وإن أكن قد أخطأت وجانبني الصواب،فمن نفسي وتقصيري والخير والإصلاح أردت،والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وكان الفراغ من تأليفه،ليلة الاثنين في الواحد والعشرين من ذي القعدة 1424هـ الموافق للحادي عشر من يناير عام 2004 م.

المؤلف:

الدكتور / **مصطفى أكرور**

الأستاذ بكلية العلوم الإسلامية

-جامعة الجزائر-

التعريف العام بعلوم القرآن

١-تعريف علوم القرآن.

هذا اللفظ مركب إضافي وله جزءان مضاف وهو [علوم] ومضاف إليه وهو [قرآن].

وله معنيان، معنى باعتباره مركبا إضافيا، ومعنى باعتباره علما.

أما المعنى الأول فيراد بكلمة علوم وهو المضاف كل علم يخدم القرآن الكريم ويتصل به، ويستند إليه وينتظم ذلك علم التفسير، وعلم أسباب النزول، وعلم إعجاز القرآن وعلم القراءات وعلم الرسم العثماني وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعراب القرآن وسائر علوم الدين واللغة والبلاغة وغير ذلك من زاوية دراسة القرآن الكريم.

ويراد بكلمة [القرآن] وهو المضاف إليه- الكتاب المقدس المنزل على سيدنا محمد ﷺ.

وأما المعنى الثاني فيراد به أن لفظ [علوم القرآن] نقل من هذا المعنى الإضافي وجعل اسما وعلما يطلق على فن خاص يختلف عن المدلول السابق لأنه يختص بأنه يجمع ضوابط تلك العلوم المتصلة بالقرآن من ناحية كلية إجمالية لا تفصيلية جزئية.

وبناء على ذلك يمكن أن نعرف علوم القرآن فنقول:

علوم القرآن في الاصطلاح: هو المباحث الكلية المتعلقة بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه وجمعه، وكتابته وقراءته وتفسيره، وإعجازه، وناسخه، ومنسوخه، و نحو ذلك[1].

وموضوع هذا العلم القرآن الكريم من النواحي المذكورة .

2) تعريف القرآن:

لم يشتهر كتاب على ظهر الأرض كما اشتهر القرآن الكريم، ولهذا لم يكن الناس بحاجة إلى تعريفه، ومع هذا لجأ بعض العلماء الذين تحدثوا عن العلوم القرآنية إلى تعريف القرآن، كما عرّفه أيضا بعض علماء الأصول، ومن هذه التعاريف أن القرآن " هو كلام الله المنزل على محمدﷺ بلسان عربي مبين، والمكتوب في المصاحف والمنقول إلينا بالتواتر والمتعبّد بتلاوته".

وكل من الكتابة في المصاحف والنقل إلينا بالتواتر لا يدخل في حقيقة القرآن لأنه في زمن الرسولﷺ كان القرآن قبل أن يكتب في المصاحف، ومن قبل أن ينقل إلينا بالتواتر، وإنما ذكرا في التعريف، لأن المقصود تعريف القرآن، لأمثالنا ممن لم يشاهد الوحي، و لم يدرك زمن النبوة والقرآن لا ينفك عن الكتابة في المصاحف ولا عن النقل بالتواتر ضمنا لحفظه ونقله إلى الأجيال المتعاقبة.

على أن القرآن الكريم له أسماء كثيرة منها الذائع:

كالكتاب والفرقان، ومنها ما ليس مشهورا كالعربي والمجيد، ويبدو أنّ العلماء في حديثهم عن أسماء القرآن، لم يفرقوا بين التسمية والوصف، فأسرفوا في تعداد هذه الأسماء حتى بلغ بها بعضهم نيفا وتسعين اسما[2] وإذا كان القرآن والكتاب

([1]) راجع مناهل العرفان للزرقاني: جـ1، ص16-20.

([2]) راجع: مباحث في علوم القرآن، د.صبحي الصّالح،ص 21، ط7، دار العلم للملايين.

أشهر الأسماء فإن بين الكلمتين فرقا في الدلالة حيث لا تطلق الأولى إلا على كلام الله المعجز المنزل على خاتم الرسل والأنبياء، على حين تطلق الثانية على *كلام الله وعلى غيره، وإن كانت في عرف المسلمين- إذا أطلقت- يراد بها القرآن الكريم.

وفي تسمية القرآن بالكتاب إشارة إلى جمعه في السطور لأن الكتابة جمع للحروف ورسم للألفاظ كما أن تسميته بالقرآن إيماءة إلى حفظه في الصدور لأن القرآن مصدر القراءة وفي القراءة استذكار، يقول الدكتور/ محمد عبد الله دراز: " وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظة في موضعين، لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر"[1] وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة الإسلامية، اقتداء بنبيّها بقي القرآن محفوظا في حرز حريز، إنجازا لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول:﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [2] و لم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى: ﴿ والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله﴾[3] أي بما طلب إليهم حفظه، والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على

([1]) انظر: النبأ العظيم، د: محمد عبد الله دراز، ص123، طبعة دار القلم، الكويت.

([2]) الحجر: 09

([3]) المائدة: 46

التوقيت لا التأبيد وأن هذا الوحي جيء به مصدّقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة زائدا عليها بما شاء الله زيادته وكان سادا مسادها، ولم يكن شيء منها ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، وإذا قضى الله أمرا يسّر له أسبابه وهو الحكيم العليم.

السورة والآية:

يبلغ عدد سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سور وتتكون كل سورة من آيات تتفاوت طولا وقصرا كما تتفاوت السور في هذا أيضا.

وقد اتفق العلماء على أن آيات القرآن الكريم بلغت مائتين وستة آلاف آية وزاد بعضهم في عددها لاعتبار البسملة آية من كل سورة أو لاختلاف في طرق العد.

وللسورة من الناحية اللغوية عدة معان: منها المنزل المرتفع ومنه سور المدينة، والشرف والمنزلة الرفيعة قال الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ❁ ترى كل ملك دونها يتذبذب

وقد أطلق على الطائفة المستقلة من آيات القرآن ذوات مطلع ومقطع أو فاتحة أو خاتمة سورة، إما لأنها تحيط بالآيات والكلمات التي تضمها إحاطة السور بالمدينة وإما لما في السورة من معنى العلو والرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسية[1].

وإما لتمامها وكمالها من قول العرب للناقة التامة: سورة.

([1]) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لفيروز آبادي، ت: الشيخ محمد علي النجار، ج1، ص84.

والعلاقة بين المعنى اللغوي للسورة والمعنى الإصطلاحي واضحة وهذا يومئ إلى أن القرآن في نقله لبعض الكلمات من معانيها اللغوية إلى معان جديدة كالصلاة والزكاة والصيام... إلخ لم يقطع الصلة بين المعنى اللغوي لهذه الكلمات والمعاني الإصطلاحية التي أضفاها عليها.

- **تقسيم العلماء لسور القرآن الكريم:**

ويقسم العلماء سور القرآن الكريم من حيث الطول والقصر أربعة أقسام:

1-**الطوال**: سبع سور هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، ثم يونس، أو الأنفال وبراءة معا.

2-**المئون**: وهي التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

3-**المثاني**: هي السور التي آياتها أقل من مائة لأنها تثنى تكرر وتعاد، أكثر من الطوال والمئين.

4-**المفصل**: وهو أواخر القرآن واختلفوا في تعيين أوله على إثني عشر قولا، فقيل: أوله "**ق**" وقيل غير ذلك وصحح الإمام النووي أن أوله: الحجرات، وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة وهو يقسم ثلاثة أقسام:

أ-**طوال**: من أول الحجرات إلى سورة البروج.

ب-**أوساط**: من سورة الطارق إلى سورة لم يكن أي البينة.

جـ- قصار من سورة" الزلزلة إلى آخر القرآن"[1]

([1]) راجع: مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، جـ1، ص:345.

ترتيب السور القرآنية:

لقد اختلف العلماء في ترتيب السور في المصحف فمنهم من يرى أن الرسولﷺ لم يكن له فيه توقيف وأن الصحابة رضي الله عنهم قد اجتهدوا في هذا الأمر. ومنهم من يرى أن ترتيب بعض السور توقيفي، وترتيب البعض الآخر اجتهادي[1].

ومنهم من يذهب إلى أن هذا الترتيب كان توقيفيا عن رسول اللهﷺ كما أخبر به جبريل عليه السلام عن ربه عزوجل وهذا القول هو الراجح لأن هذا الترتيب هو الذي رتبه عثمان رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة رضي الله عنهم.

وسواء أكان ترتيب السور توقيفيا أم اجتهاديا، فإنه ينبغي احترامه وبخاصة في كتابة وطبع المصاحف لأنه عن إجماع الصحابة، والإجماع حجة ولأن خلافه يجر إلى الفتنة، ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب[2].

أما الآية: فتطلق في اللغة على عدّة معان: منها، المعجزة ومنها قوله تعالى: ﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾ [3] أي معجزة واضحة.

والعلامة ومنه قوله تعالى: ﴿إنّ آية ملكه أن يّأتيكم التّابوت فيه سكينة من ربّكم﴾ [4].

والعبرة ومنه قوله تعالى: إن في ذلك لآية [5].

---

(1) انظر: الإتقان للسيوطي، جـ1، ص:92.

(2) مناهل العرفان، جـ1، ص:351.

(3) البقرة: 211.

(4) البقرة: 248.

(5) المؤمنون: 50.

والأمر العجيب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ [1].

والبرهان والدليل، ومنه قوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السّموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾[2].

والجماعة، ومنه قول العرب: خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم.

وتطلق الآية في الاصطلاح: على طائفة من القرآن ذات مطلع ومقطع لها بداية ونهاية مندرجة في سورة من القرآن.

وعلّل صاحب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز هذا الإطلاق: بأن الآية علامة دالة على ما تضمنته من الأحكام، وعلامة دالة على انقطاعه عما قبله وعما بعده.

والتميز عن كلام المخلوقين، أو لأنّ كل آية جماعة من الحروف[3] وأقصر آية في الكتاب العزيز كلمة واحدة مثل "**والفجر**" و" **مدهآمتان**"، وأطول آية هي آية المداينة[4] وهي من أواخر آيات سورة البقرة وتتحدث عن توثيق الدّين.

وقد انعقد إجماع الأمة على: أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبيﷺ عن الله تعالى، وأنه لا مجال للرأي فيه بل كان جبريل ينزل بالآيات على الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها ثم يقرؤها النبيﷺ على أصحابه ويأمر كُتّاب الوحي بكتابتها معيّنا لهم السورة التي تكون فيها الآية

([1]) هود: 103

([2]) الروم: 22.

([3]) تفسير القرطبي، جـ1، ص58.

([4]) الواقعة في سورة البقرة 282.

وموضع الآية من هذه السورة، وكان يتلوه عليهم مرارا وتكـــرارا في صلاتـــه وعظاته وفي حكمه وأحكامه[1]

نزول القرآن الكريم

من المسلّم به أن القرآن الكريم ابتدأ نزوله في ليلة القدر من ليالي شـــهر رمضان على رأس الأربعين من ميلاد الرسولﷺ، وكان أول ما نزل قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم﴾[2].

وقد نزل القرآن منجما بحسب الوقائع والأحوال غالبا، في نحو ثلاثـــة وعشرين سنة، وقد بين القرآن سر هذا التنجيم في موضعين منه:

1-قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾(3).

أي أنزلناه مفرقا ليقوى فؤادك على حفظه وفهمه، ومعنى ورتلناه ترتيـــلا، أي أتينا ببعضه إثر بعض على تؤدة ومهل(4).

لقد كان النبي أميا لا يعرف القراءة والكتابة﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾(5) ومن العسير على مثله أن يحفظ القـــرآن

---

(1) انظر: مناهل العرفان للزرقاني، جـــ1، ص:330.

(2) العلق: 1-5.

(3) الفرقان: 32.

(4) راجع تفسير المراغي، جـــ19، ص:11.

(5) العنكبوت: 48.

جملة واحدة فكان من فضل الله على نبيه، أن أنزل عليه هذا الكتاب منجما، ليكون حفظه له أيسر وأكمل، وليكون في تتابع الوحي، مع هذا تثبيت لفؤاد الرسول ﷺ على مواجهة تحديات الكفر، فلا يضيق بما يلقاه من إعراض أو أذى واضطهاد، ويمضي في طريقه يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة.

ب-قوله تعالى:"وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا"[1] أي وأتيناك قرآنا فرقناه، أي أنزلناه مفرقا منجما لتقرأه على الناس على مهل وتؤدة فيكون ذلك أيسر لحفظ الناس إياه وأعون على فهمهم له وعملهم بما فيه.

لقد كان للعرب قبل الإسلام من الناحية العقلية والاجتماعية، في حال لا تهيئهم كثيرا لتلقي كتاب كامل، وصحف تامة، فكانت الحكمة في أن يترل إليهم القرآن منجما، مفرقا، يتلقونه شيئا فشيئا، وقد احتفت به مناسبات النزول وتوجهت النفوس إلى تلقّيه فكانت أكثر تهيؤا لقبوله.

كان نزول القرآن مفرقا خلال تلك السنين الطويلة أيسر على حفظه. وأثبت في وعيه، وأبقى له على الدهر وأبعد له من شر التحريف أو التشويه، كما كان هذا التنجيم كذلك أعون على العمل بأحكامه، والأخذ بتعاليمه، حيث كانت العرب في بعض ما ألفت من العادات القبيحة والعقائد الفاسدة يصعب تركها لما درجت عليه دفعة واحدة فكان التدرج في التشريع سمة بارزة في منهج تقرير الأحكام في القرآن الكريم[2].

ويختلف الكتاب العزيز في هذا عن سائر الكتب السماوية التي خلت قبله فقد نزلت دفعة واحدة و لم تترل مفرقة كالقرآن الكّريم.

([1]) الإسراء: 106.

([2]) راجع: دراسات قرآنية للدكتور: عدنان زرزور، ص: 81.

أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.

إذا كانت الآيات الأولى من سورة العلق هي أول ما نزل من القرآن فإن آخر ما نزل منه قد اختلف العلماء فيه، وتعددت أقوالهم حوله، وهذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبيﷺ، وكل ذهب إلى ما ذهب إليه بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبيﷺ في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل[1] فلقاء الصحابة للرسولﷺ في الأيام الأخيرة من عمره مختلف، من حيث أنه لا يعرف بالضبط أيهم كان لقاؤه آخر لقاء ممن سمعوا، ومن ثم تباينوا في معرفة آخر ما نزل من القرآن إلى أقوال بلغ بها بعضهم عشرة، ويرجح بعض الباحثين في علوم القرآن أن قوله تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾.

آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق وذلك لأمرين: أحدهما ما تحمله هذه الآية في طياتها، من الإشارة إلى ختام الوحي، والدين، بسبب ما تحث عليه من الاستعداد ليوم المعاد وما تنوه به من الرجوع إلى الله، واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم، وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام التي وردت تلك الآية في سياقها، فقد ذكرت قبلها آيات تحريم الربا وهي آخر ما نزل في رأي بعض العلماء، وجاءت بعدها آية المداينة، وهي أيضا آخر ما نزل فيما يروى عن الإمام سعيد بن المسيب.

وثاني الأمرين: ما أخرجه أبن أبي حاتم قال: "آخر ما نزل من القرآن كله ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله .... ﴾

([1]) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جـ1، ص: 28.

وعاش النبيﷺ بعد نزولها تسع ليال ثم مات لليلتين خلتا في ربيع الأول.

ورواية ابن أبي حاتم هذه تنص على أن الآية هي آخر ما نزل من القرآن كله وأن النبيﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال فقط، و لم تظفر آيات الربا، أو آية الدّين بمثل هذا التنصيص.

وأما آية المائدة، التي اشتهرت بأنها آخر ما نزل، فلأنها تتحدث عن إكمال الدين، وإتمام النعمة، ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[1]

وقد نزلت في يوم عرفة عام حجة الوداع، وعاش بعدها النّبيﷺ واحدا وثمانين يوما، فليست آخر ما نزل لأن هناك قرآنا نزل بعد هذه الآية وإكمال الدين فيها لا يعني إكمال الفرائض والأحكام وأنه لم ينزل بعدها آية تتناول الحلال والحرام، فقد نزل بعد حجة الوداع آية الربا والدّين والكلالة، والأقرب أن يكون معنى إكمال الدين يومئذ هو إنجاحه وإقراره وإظهاره على الدين كله.

وقد أوّل الإمام الطبري، معنى إكمال الدين في الآية بإقرار المسلمين بالبلد الحرام، وإجلاء المشركين عنه حتى حجّه المسلمون لا يخالطهم المشركون.

وروي عن ابن عباس قال: كان المشركون والمسلمون يحجون جميعا، فلما نزلت سورة براءة، نفي المشركون من البيت، وحج المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين، فكان ذلك من تمام النّعمة[2].

---

(1) المائدة: 03.

(2) انظر: الإتقان: جـ(1)، ص28.

جمع القرآن وتدوينه:

كانت العرب أمة أمية، ومع هذا كان في مكة -وهي بلد تجاري- من يعنى بالكتابة: ضبطا للتجارة، ومن هنا روي أنه وجد رجال كاتبون في مكة بل ونساء كاتبات، ومن هؤلاء الذين كانوا يعرفون الكتابة، وارتضوا الإسلام دينا اتخذ الرسول ﷺ كتّابا للوحي، لكتابة ما يترل منه، عند نزوله ومن هؤلاء: زيد ابن ثابت، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأنس ابن مالك وأبي بن كعب، وثابت بن قيس، وكان عليه الصلاة والسلام يدلهم على موضع المكتوب، من سورته فيكتبونه فيما يسهل عليهم من العسب وهو جريد النخل يكشط خوصه ويكتب على ما استعرض منه، والأقتاب وهو ما يوضع على ظهر البعير، ويركب عليه وهو من الخشب، واللخاف وهي صفائح من الحجارة الرقاق، والأكتاف وهو عظم الكتف من الإبل والغنم، والرقاع- وهي الصحيفة من الجلد أو الورق- وكان ما يكتب يوضع في بيت رسول الله ﷺ وهكذا انقضى العهد النبوي السعيد والقرآن مجموع على هذا النمط بيد أنه لم يكتب في صحف أو مصاحف، بل كتب منثورا بين الرقاع والعظام ونحوها[1].

وكان ما يكتبه كتاب الوحي يتناقله بعض المسلمين، يشهد لهذا قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان كاتبا، لأنه حين علم أن أخته وزوجها قد آمنا بمحمدﷺ دخل عليهما، حانقا يريد الفتك بهما، وقد سمع حين دنا من باب البيت قراءة خباب بن الأرت عليهما من صحيفة فيها سورة "طه" ولما طلب من أخته أن تعطيه الصحيفة وكانت قد وارتها تحت فخذها أبت

(1) راجع: مناهل العرفان، جـ(1)، ص:96.

خوفا عليها منه ولكنه حلف بآلهته ليردها إذا قرأها إليها فدفعتها إليه طامعة في إسلامه، فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، ثم رغب في معرفة مكان الرسولﷺ ليذهب إليه، وبين يدي الرسولﷺ نطق عمر بالشهادتين وأصر على أن يجهر المسلمون بعبادتهم فهم على الحق وغيرهم على الباطل، ومن ثم سمي بالفاروق[1].

وهذا يدل على عناية المسلمين الفائقة بالقرآن حفظا وكتابة، وأن هذه العناية آية من آيات حفظ هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من التحريف والضياع كما حدث للكتب السماوية التي أنزلت قبله لأنه آخر كتاب يترل ولذا يمكن القول بأن من أسباب حفظ القرآن في زمن الرسولﷺ ترجع إلى ما يلي:

أولا: نزول القرآن منجما، فقد كان هذا من عوامل حفظ الصحابة للقرآن وفهمهم، بوجه عام لأحكامه ومعانيه.

ثانيا: كتّاب الوحي الذين قاموا بأقدس مهمة، في تاريخ البشرية، ومن هؤلاء من كان يلازم الرسولﷺ لهذه المهمة، كزيد بن ثابت.

ثالثا: قوة حافظة العرب، فقد كان الواحد منهم يحفظ ما يسمعه مرة واحدة.

رابعا: حرص المسلمين على العناية بالقرآن، كتابة وحفظا، لأنه أساس الشريعة ودستورها.

وقد كان القرآن في عهد رسول اللهﷺ محفوظا في صدور الرجال، كما كان مكتوبا، غير مجموع في موضع واحد، لما كان يترقب من ورود الناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما كانت

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام، جـ(1)، ص:342.

واقعة اليمامة مخافة أن يموت أشياخ القراء في المعارك أمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن، وفي البخاري: قال زيد تتبعث القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب، وصدور الرجال وكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل، وكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة ولا بالكتابة دون الحفظ حرصا على أن يكون ذلك مما كتب في العرضة الأخيرة، فجمع الصديق رضي الله عنه، كان عبارة عن جمع الآيات المكتوبة مرتبة في سورها، ونسخ ذلك في صحف بقيت عند الصديق ثم عند عمر ثم بعده عند حفصة رضي الله عنهم.

ولما كان عهد عثمان رضي الله عنه، اختلف الناس في القراءة، بسبب تفرق الصحابة في البلدان فشاور عثمان الصحابة، فاتفقوا على جمع القرآن بما صح وثبت من القراءات عن النبيﷺ، واطراح ما سواها، فأرسل إلى حفصة يطلب المصحف ينسخها في المصاحف، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في عدة مصاحف، وبعث عثمان إلى كل من العراق والشام ومصر والمدينة ومكة واليمن والبحرين مصحفا، وأمر بما سواها من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ذلك سنة **خمس وعشرين** من الهجرة.

والفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما، أن الجمع الأول كان خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، فجمعت كل السور في موضع واحد.

أما جمع عثمان رضي الله عنه فكان سببه، كثرة الاختلاف في وجوه القراءات وكانت غايته، جمع المسلمين على ما تحقق أنه قراءات في العرضة الأخيرة مع ترتيب السور، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف واحد لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل ولا منسوخ تلاوته... لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وما وجد بين القراء المشهورين من الاختلاف في حروف يزيدها بعضهم وينقصها

البعض نحو [سارعوا وسارعوا] أو كلمات تزيد وتنقص نحو: [إن الله هو الغني الحميد] بإثبات كلمة [هو] ونقصانها أو القراءة بتقديم بعض الكلمات أو تأخيرها نحو: [قتلوا وقاتلوا] أو العكس فسبب ذلك أن كلا من القراء اعتمد على ما بلغه في مصحفه ورواه، إذ كان عثمان رضي الله عنه قد كتب تلك المواضع في بعض النسخ و لم يكتبها في بعض، إشعارا بأن كل ذلك صحيح.

ظاهرة الوحي

ظاهرة الوحي ليست خاصة بالرسول الكريمﷺ وإنما هي عامة في جميع الأنبياء، الذين كان يأتيهم الوحي، من عند الله بطريقة متقاربة، وعن طريق الوحي يقوم الملك المكلف بنقل الرسالة من الله إلى الأنبياء بتبليغ ما أمر بتبليغه قال تعالى:﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان، وآتينا داود زبورا، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ﴾[1].

تعريف الوحي: كلمة الوحي في اللغة مأخوذة من الإعلام الخفي السريع وقد استعملت في اللغة لمعان متعددة، كما استعملت في القرآن الكريم لعدة معان أيضا، وتفيد هذه الكلمة في اللغة: الإلهام، والإشارة، والإيحاء، والوسوسة والكتابة... قد استعمل القرآن الكريم كلمة الوحي في معانيها اللغوية المتعددة

---

(1) النساء: 163-164.

فجاءت بمعنى الإلهام في قوله تعالى: ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ [1] .

وجاءت بمعنى الإشارة والإيماء في قوله تعالى: حكاية عن زكرياء عليه السلام ﴿ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾[2] .

وجاءت بمعنى الوسوسة في قوله تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم...﴾ [3] .

أما المعنى الشرعي المراد من كلمة الوحي، فأحيانا يراد بالوحي الموحى به، وهو القرآن كما في قوله تعالى: ﴿إن هو إلا وحي يوحى...﴾[4]
وأحيانا يراد به الإيحاء إلى النبي الكريم، وإعلامه بمراد الله، كما في قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا، لتنذر أم القرى ومن حولها . .﴾ [5]

أنواع الوحي:

الوحي ظاهرة عامة في الأنبياء وليس له طريقة محددة وكيفية معينة، وإنما له صور متعددة، يتم عن طريقها الإتصال بين الخالق وأنبيائه الذين اصطفاهم، وغالبا ما يسبق نزوله الوحي على الأنبياء [الرؤيا الصادقة في المنام] وقد وقعت

---

(1) النحل: 68.

(2) مريم:11.

(3) الأنعام:121.

(4) النجم: 04

(5) الشورى: 07.

هذه الرؤيا للرسول الكريم قبل مجيء الرسالة إليه، لتكون مقدمة للرسالة ولتهيء الرسول الكريم لقبول الوحي الإلهي الذي سيلقى إليه.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء ...حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ...[1] الحديث

أما أنواع الوحي فقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم**﴾[2].

1-**الإلهام الإلهي**: ويتم ذلك عن طريق ما يلقيه الله في قلب نبيه

2-**التكلم المباشر**: من الله إلى رسوله، بحيث يسمع النبي الكلام ويفهم المراد منه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا، وكلمه ربه قال: رب أرني انظر إليك، قال: لن تراني، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني...** ﴾[3].

---

(1) صحيح البخاري-باب بدء الوحي، 03/1، انظر شرحه في فتح الباري 22/1.

(2) الشورى: 51.

انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، 23/1، النوع السابع.

(3) الأعراف: 143.

3-الوحي عن طريق جبريل: وكانت هذه الصورة هي التي نزل القرآن بها على الرسول الكريم فكان جبريل ينزل بالوحي على رسولنا الكريم، قال تعالى: مبينا كيفية نزول القرآن ﴿**وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**﴾[1].

ولعلنا نتساءل الآن عن كيفية نزول الوحي، على الرسول الكريم، والجواب على ذلك ليس بالأمر اليسير الذي يمكننا الاجتهاد فيه... ولذلك نقتصر على ذكر الكيفية التي تبين لنا: أن الرسولﷺ يرقى بطبيعته البشرية إلى الحالة الروحانية التي يحصل من خلالها التلاؤم بين طبيعة الملقي والملقى إليه، ولذلك كان يبدو التعب والإرهاق، على جسم الرسول الكريم، حيث يتفصد جبينه عرقا، وقد روت السيدة عائشة، أن الحارث بن هشام سأل الرسول الكريم عن الكيفية التي يأتيه الوحي بها، فقال يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول اللهﷺ: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة: **ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقا**[2].

رسم المصحف

قد روعي في كتابة المصاحف الرسم العثماني، وهو ذو نهج خاص يخالف ما درج عليه الناس في الرسم والإملاء ومن ثم قيل خطان لا يقاس عليهما خط العروض، وخط المصحف العثماني قال الإمام أحمد: تحرم مخالفة خط عثمان.

---

(1) الشعراء: 192-195.

(2) رواه البخاري عن الحارث بن هشام

وقال الإمام مالك: لا يكتب المصحف إلا على الكتبة الأولى وقال بعضهم، كابن خلدون والقاضي أبي بكر الباقلاني، لم يكن الرسم العثماني توقيفيا وتجوز مخالفته، وتعليلهم لجواز مخالفته ضربنا عنه صفحا إذ القرآن كله قد كتب بين يدي الرسولﷺ مفرقا، وعن هذه الصحف كتب وجمع في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، فإن كانوا قد كتبوه على نفس الهيئة التي كتب بها بين يديهﷺ فلا اصطلاح، وإن كتب على غيرها فلا يخفى ما في القول من نسبة الصحابة وأعلام الهدى إلى المخالفة وإلى التصرف في القرآن بالزيادة والنقصان، في مثل قوله تعالى: بأييد.. [أفإن مت] ونحو ذلك والمتتبع للرسم العثماني ومقارنته بالرسم المعتاد، يجد في المصحف كلمات زيدت فيها أحرف في مواضع، ونقصت منها أحرف في مواضع أخرى، لأسرار لا تهتدي إليها العقول، خص الله بها كتابه، ولعل من أسرار ذلك ما ذهب إليه جماهير العلماء، أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة، التي تواتر بها الحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف، وجامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبيﷺ على جبريل، متضمنة لها لم تترك حرفا منها: فالقرآن أداؤه وألفاظه ورسمه كلها توقيفي.

وقد كان علم الرسم علما مستقلا، عني بالتأليف فيه علماء من المتقدمين والمتأخرين منهم: الشيخ الإمام أبو عمرو الداني في كتابه [المقنع] والشيخ العلامة أبو العباس المراكشي فقد ألف في توجيه ما خالف قواعد الخط، منه كتابا، سماه: عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل بين فيه أن هذه الأحرف إنما اختلف لحالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها، وأن فيها فوائد

بلاغية ولغوية ونحوية وكذلك العلامة الشيخ محمد بن أحمد الشهير بـالمتولي، إذ نظم في ذلك أرجوزة، ومنه العلامة الشيخ محمد خلف الحسيني، شيخ المقـارئ المصرية في عهده، فشرح تلك المنظومة في شرح له سماه: مرشـد الحـيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن، وألف فيه أيضا الأستاذ محمد حبيـب الله بن محمد الشنقيطي، كتيبا سماه: إيقاظ الأعلام إلى اتباع رسم المصحف الإمام.

فوائد الرسم العثماني:

لاتّباع المصحف العثماني فوائد ومصالح منها:

1-اتصال السند بحفظ القرآن الكريم، فلا يجوز لأحد أن يقرأه أو يقرئ غيره إلا بروايته عن شيوخه وهم عن شيوخهم وهكذا حتى يتصل السند بالنبيﷺ .

2- الدلالة على بعض اللغات الفصيحة، ككتابة هاء التأنيث تاء في لغة طـيء، ومثل حذف آخر الفعل المضارع المعتل لغير جازم نحو: [يوم يأت] في لغة هذيل ونحو: ﴿ ذلك ما كنا نبغ﴾ [1] .

3-الدلالة على أصل الحركة ككتابة الصلاة، والزكاة، والحياة والربا بالواو بدل الألف.

4-الدلالة على معان خفية، دقيقة، برسم الكلمة، ولذلك أمثلة نبّه عليها العلماء

---

(1) الكهف: 64.

ولا سيما المراكشي منها: زيادة الياء في قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ [1].

حيث كتبت بياءين وذلك للإشارة إلى عظمة قدرة الخالق جل وعلا التي بنى بها السماء والعالم العلوي كله وأنها لا تشبهها قوة، ومن هذا القبيل أيضا كتابة هذه الأفعال التالية بغير واو مع أن القاعدة النحوية واللغوية على غير هذا، قال تعالى: ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾[2] وقوله: ﴿ويمح الله الباطل﴾[3] وقوله: ﴿يوم يدع الداع إلى شيء نكر... ﴾[4] وقوله: ﴿سندع الزبانية﴾[5] فإنها كتبت في المصاحف العثمانية بغير واو، ولذلك سر دقيق لمن أمعن النظر وقد قال الشيخ العلامة أبو العباس المراكشي، ما معناه مع التوضيح: السر في ذلك: التنبيه على سرعة وقوع الفعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود.

أما الحذف في الأول فللإشارة إلى أن الإنسان يسارع على الدعاء بالشر كما يسارع بالدعاء إلى الخير بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير، ولا سيما عند الغضب وثورة النفس وأما السرفي حذفها في الثانية، فالإشارة إلى سرعة ذهاب الباطل واضمحلاله، كما وردت ما تشبه هذه الآية في الرسم والواو فيها ثابتة ورودها في سورة الرعد قوله تعالى: ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت

---

(1) الذاريات: 47

(2) الإسراء: 11

(3) الشورى: 24

(4) القمر: 06

(5) العلق: 18

وعنده أم الكتاب﴾[1] قيل لأن الإثبات هو الأصل، وأيضا ففيه إشارة إلى كثرة ما يمحوه الله في صحف الملائكة ويثبت غيره.

وأما السر في حذفها في الثانية: فالإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعين حينما يطلب منهم ذلك، وأما السر في حذفها في الرابعة، فالإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية أقول: وفيه أيضا تطابق في اللفظ بين المتجاورين فقبلها فليدع ناديه وإشارة إلى أن استجابة الزبانية أسرع من استجابة ناديه.والله أعلم.

• المكي والمدني من آيات القرآن

تنقسم فترة نزول القرآن إلى مرحلتين تاريخيتين: أولاهما المرحلة المكية، وهي مرحلة ما قبل الهجرة، وثانيهما المرحلة المدنية، وهي مرحلة ما بعد الهجرة فما نزل من القرآن قبل الهجرة يقال له الآيات المكية، وما نزل بعد الهجرة يسمى بالآيات المدنية.

ولم يرتب القرآن بحسب نزوله الزمني، ولذلك نجد أن السور المكية والمدنية متداخلة مع بعضها وأحيانا نجد بعض الآيات المدنية ضمن سور مكية أو العكس، ويعود ذلك إلى أمر الرسول الكريم، الذي كان يأمر كتبة الوحي، بأن يضعوا كل آية من الآيات في مكانها الذي نراه عليه اليوم، وبالتالي لا يملك الصحابة، تغييرا فيما أمر به الرسول الكريم، أو تبديلا وكل ذلك لحكمة لا يدركها الإنسان.

ولو رجعنا إلى آيات القرآن لوجدنا اختلافا بين هذه الآيات من ناحية الأسلوب، ومن ناحية الموضوع، وهذا الاختلاف في الأسلوب يؤكد لنا الإعجاز القرآني ويبرزه، أما الاختلاف في الموضوع، فيعود إلى طبيعة التطور

---

(1) الرعد: 39

المرحلي، الذي مرت به الدعوة الإسلامية فالموضوع الذي تعالجه الآيات التي نزلت في بداية العصر المكي حيث كانت الدعوة في بدايتها يختلف على وجه التأكيد عن الموضوع الذي تتناوله الآيات في القسم الأخير من المرحلة المدنية وذلك لاختلاف الظروف وتباين الواقع بين هاتين المرحلتين.

فمن الخصائص الأسلوبية للآيات المكية أنها ذات نبرة خاصة وإيقاع مؤثر يتمثل في ألفاظ قوية، وجمل مختصرة، وصور معبرة، وأمثال موضحة، ومشاهد حية، وأما خصائصها الموضوعية، فقد كانت هذه الآيات تتناول قضايا الخالق والخلق، والجنة والنار، والدنيا والآخرة، والموت والبعث، وعالم الغيب والشهادة. ولهذا نلاحظ أن هذه الآيات تستخدم أسلوب المناقشة، والإقناع، والقَسَم للوصول إلى مبادئ الإيمان بالله واليوم الآخر، ومناقشة المشركين، ودحض معتقداتهم وتسفيه عقولهم، والدعوة إلى الأخلاق القويمة والاستقامة في السلوك والصدق في المعاملة.

أما الخصائص الأسلوبية والموضوعية للآيات المدنية فتختلف عن الخصائص الأسلوبية والموضوعية التي تمتاز بها الآيات المكية، فالآيات المدنية ذات أسلوب تشريعي هادئ، السور طويلة، والآيات طويلة، والموضوعات تتناول قضايا جديدة، يعيش في ظلها المسلمون في المدينة ويحتاجون إليها كالمعاملات والبيوع، والزواج والطلاق، والنفقات، والإرث والوصية والعقوبات، ومسائل الحكم والمال والزكاة، والحج....

ومن الطبيعي أن يتغير الأسلوب الذي يعالج هذه الموضوعات عن الأسلوب المكي كما يختلف الأسلوب الذي يخاطب المؤمنين، عن الأسلوب الذي يخاطب المنكرين والجاحدين.

• الناسخ والمنسوخ

إن مما لا شك فيه أن كل مفسر يجب أن يكون مطلعا على الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم حتى أنهم قالوا: " ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ"[1].

وقد قال علي بن أبي طالب لقاص:" أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: الله أعلم، قال هلكت وأهلكت"[2].

فالعلم بالنسخ عظيم الشأن وهو ضروري لكل مفسر ونظرا لأهميته سأتعرض لتعريفه وأنواعه حيث أفرده بالتصنيف في كتب خاصة خلائق لا يحصون كما قال الإمام السيوطي منهم أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو داود السجستاني، وأبو جعفر النحاس، وابن الأنباري، وابن العربي، ومكي بن أبي طالب وآخرون، إلا أنا ننبه على أنه وقع توسع كثير من بعض العلماء في النسخ فقالوا: بنسخ آيات كثيرة لا دليل على نسخها، وكثير من ذلك من باب التخصيص لا النسخ، مما يوجب التنبيه على الأمر الخطير[3].

أولا: تعريف النسخ:

النسخ في اللغة يطلق على معنيين:

المعنى الأول: الإبطال والإزالة، كقولهم نسخت الشمس الظل أي أزالته.

المعنى الثاني: النقل، ومنه نسخت الكتاب، أي نقلته من كتاب آخر.

---

(1) راجع: الإتقان: للسيوطي: جـ2، ص:20.

(2) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ2، ص:29.

(3) راجع ذلك في مظانه ولا سيما أبحاث أصول الفقه، وقد حصر بعض الباحثين المنسوخ من القرآن في نحو عشرين آية فقط فتأمل.

أما معناه الاصطلاحي فأصح وأدق تعريف له: رفع حكم شرعي بدليل شرعي"[1].

وقد استدل العلماء على جواز النسخ بقوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [2] وبقوله: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل﴾[3]

كما بين العلماء أنواع الناسخ والمنسوخ، فقالوا: إنه على ثلاثة أضرب:-

الأول: ما نسخت تلاوته وبقي حكمه[4] كما ورد عن عمر رضي الله عنه أنه نزلت آية في رجم الزاني المتزوج، وقد نسخت التلاوة وبقي الحكم.

الثاني: ما نسخ حكمه وبقي تلاوته: وهو أكثر الأقسام وقوعا، مثل نسخ آية العدة ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج﴾[5] فكانت العدة للمتوفى عنها زوجها حولا، ثم نسخت بأربعة أشهر وعشرا".

(1) انظر: المحصول في علم الأصول لفخر الدين الرازي القسم الثاني جـ1، ص430، وكذلك النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: جـ1، ص55، ويمكن الرجوع إلى الآمدي في الإحكام وكذا الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس.

(2) البقرة: 106

(3) النحل: 101

(4) البرهان: جـ2، ص:35.

(5) البقرة: 240

الثالث: نسخهما جميعا: أي نسخ التلاوة والحكم فلا تجوز قراءته ولا العمل به ويمثل له العلماء بما روي، كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن[1].

والجملة الأولى منسوخة التلاوة والحكم، أما الجملة الثانية فهي من منسوخ التلاوة فقط وحكمها باق عند الشافعية و لم يعمل المالكية والحنفية بهذه الرّواية من أصلها.

وهذا النّسخ وهذه أنواعه، والعلماء في قضايا النسخ بين مفرط مكثر، وبين مقل، وبين مثبت له وناف له وحول هذا مواضيع كثيرة، أشبعها العلماء بحثا وتمحيصا.

• أسباب النزول:

يعرف سبب النزول بأنه: ما نزلت الآية أو الآيات تتحدث عنه أيام وقوعه (وهذا القيد) أيام وقوعه، يعتبر شرطا جوهريا، لبيان سبب النزول وتمييزه عن الآيات، التي نزلت للإخبار بالوقائع الماضية، وجدير بالتنبيه عليه أنه ليس كل القرآن قد نزل على أسباب، بل من القرآن ما نزل ابتداء، غير مبني على سبب ومن ذلك أكثر قصص الأنبياء، مع أممهم وكذا وصف بعض الوقائع الماضية أو أنباء الغيب القادمة، وبيان أهوال القيامة، والجنة والنار، فقد نزل أكثر ذلك ابتداء من غير توقف على سبب.

(1) رواه مسلم وأبو داود والنّسائي من حديث عائشة.

وسبب النزول يعين على توضيح الآيات، لأن العلم بالسبب، يورث العلم بالمسبب، كما يقول ابن تيمية[1] وعدم الاطلاع على السبب، يوقع المفسر في مواقع الزلل، الذي لا يزول بحال من الأحوال، إلا بمعرفة سبب النزول لها، مثال ذلك: قول الله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾ [2].

فإننا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة، لا سفرا ولا حضرا وهو خلاف الإجماع، إذ لا يجوز للمسلم أن يصلي إلى أي جهة شاء، بل لا بد من استقبال القبلة، حتى إنه لا يجوز له أن يجتهد في القبلة مع وجود من يسأله. ولكن مدلول اللفظ القرآني المجرد من سبب النزول يبيحه، ولا يزيل هذا إلا المعرفة بسبب النزول بما رواه الإمام مسلم، عن ابن عمر أنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه قال: وفيه نزلت ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾

وينبغي أن يكون المفسر، على حذر ويقظة، في التعامل مع أسباب النزول، حين تتعدد الأسباب وتتعارض، وحين يتعارض الصحيح مع الصحيح أو مع الضعيف وحين يكون مرجحا... وهو بحث يستحق العناية، وما زال فيه إعواز كما قال السيوطي(3) .

---

(1) راجع مجموعة الفتاوى، حـ13، ص:339.

(2) البقرة: 115.

(3) انظر: مقدمة لباب النقول في أسباب النزول.

إن عدم الإطلاع على سبب النزول يوقع العالم، وإن سما علمه، في الإرتباك في الفهم، بل لقد وقع إشكال لأحد الصحابة رضي الله عنه لعدم معرفته لسبب نزول الآية، روى مسلم، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة، قال: قلت لها إني لأظن رجلا لو لم يطف بين الصفا والمروة ما ضره، قالت و لم؟ قلت: لأن الله تعالى يقول: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾(1)فقالت ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة، ولو كان كما تقول لكان [فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما] وهل تدري فيما كان ذلك؟ إنما كان ذلك لأن الأنصار كانوا يهلون في الجاهلية لصنمين على شط البحر يقال لهما: إساف ونائلة، ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة، ثم يحلقون، فلما جاء الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما للذي كانوا يصنعون في الجاهلية، قالت: فأنزل الله عزوجل" إن الصفا والمروة من شعائر الله" إلى آخر الآية، قالت فطافوا[2] .

أما مراعاة المناسبة، فالبعض يخلط بين سبب النزول ومناسبته، وبينهما فرق ولا شك، أن السبب هو الذي من أجله نزلت الآية أو السورة، أما المناسبة فليست كذلك، إنها تهتم بوجه الربط بين بداية آية أو نهايتها، وبين آية وآية، ونهاية سورة ببداية أخرى، وغير ذلك من الأبحاث التي اعتنى بها بعض المفسرين، مثل الإمام الكواشي في كتابه:-

[التوجيه الجميل لأسرار التنزيل] ومن يقرؤه يجده اسما على مسمّى إذ به دقة في الربط وشرح للمناسبة، بتوجيه جميل، كما قال، وأكتفي بمثال ذكره الزركشي والكواشي ليجلي لنا أهمية الحديث عن مناسبة من الآيات، فقد ساق الآية

---

(1) البقرة: 158

(2) راجع صحيح مسلم بشرح النووي، جـ9، ص21.

القرآنية وهي: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج، وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها، واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[1]، فمن يقرأ هذا يتساءل، أي ربط يربط بين أحكام الأهلة، وبين إتيان البيوت؟ يقول الزركشي: "هذا من قبيل التمثيل لما هم عليه من تعكيسهم في سؤالهم وإن مثلهم كمثل من يترك بابا ويدخل من ظهر البيت، فقيل لهم: ليس البر ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة ولكن البر من اتقى ذلك.

كذلك معرفة تاريخ أو زمن نزول الآيات، ضروري لكل مفسر، لأن إهمال التاريخ، أحيانا يلبس علينا الموضوع، فنقع في خلط واضطراب، في القول، بل نقع في الحرام الذي لا شك فيه، فماذا لو أهملنا التسلسل التاريخي لنزول آيات الخمر، مثلا فلو قلنا، إن الآية القرآنية ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾[2] نزلت أولا، ثم الآية التالية نزلت ثانيا، وهي: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ لو قلنا ذلك لخرجنا بالقول التالي: إن الخمر كانت حراما، ثم أصبحت مباحة في غير أوقات الصلاة، وهذا الحكم باطل لا شك، ولا يعصمنا من الوقوع فيه إلا معرفة زمن النزول، وترتيب النازل ترتيبا تاريخيا، وفي ذلك روى الطيالسي في مسنده عن ابن عمر قال: " نزل في الخمر ثلاث آيات فأول شيء ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾[3]

---

(1) البقرة: 189

(2) المائدة: 90

(3) البقرة: 219

فهذه الآية لم تحرم الخمر، ثم قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ قالوا يا رسول الله لا نشربها قرب الصلاة فسكت عنهم، ثم نزلت ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ فقال رسول الله ﷺ : "حرمت الخمر"[1].

فمعرفة تاريخ النزول طريق العصمة في الفهم السليم.

اختلاف روايات أسباب النزول:

لما كان الوصول إلى أسباب النزول هو الرواية والنقل، كان لا بد أن يعرض لها ما يعرض للرواية مما هو معلوم ومدروس في علوم الحديث من صحة وضعف، واتصال وانقطاع، وغير ذلك مما لا نطيل به، غير أننا ننبه هنا، على ظاهرة هامة يحتاج الدارس إليها وهي: اختلاف روايات أسباب النزول وتعددها وذلك لأسباب تلخيصها فيما يلي:-

1- تعدد الأسباب والنازل واحد.

قد كان يحدث في عصر الوحي ما يكون سببا لنزول آية أو أكثر وهذا السبب نفسه قد يتكرر في أكثر من مكان أو زمان، أومن أكثر من شخص أو ظرف ويستدعي ذلك نزول الوحي بجواب له وتسمى هذه الحالة: تعدد الأسباب والنازل واحد.

(1) انظر: جامع الأصول لابن الأثير، جـ2، ص:120، وكذلك:أسباب النزول للواحدي، ص:140، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جـ1، ص:38.

قال الزركشي:" وقد يترل الشي مرتين تعظيما لشأنه، وتذكيرا به عند حدوث سببه، خوف نسيانه[1] .

فتعدد الأسباب قد يقتضي تعدد الترول، وإن كان النازل واحدا مثاله ما ورد في سورة الإخلاص، من أنها نزلت نفسها مرتين، إحداهما بمكة جوابا للمشركين، والأخرى بالمدينة جوابا لأهل الكتاب، وذلك بعد الهجرة المباركة إليها، فهنا نجد تعدد الأسباب، وتعدد الترول، غير أن النازل واحد[2] .

2-العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

هذه القضية أصولية من قواعد أصول الفقه، كما أنها من أصول التفسير الهامة، تضبط كيفية تفسير السبب للنص، ضبطا يزيل التوهم الفاسد.

فالسبب الخاص قد يترل فيه نص خاص، بموضوع السبب، وقد يترل نص عام الصيغة، أما إذا كان النص النازل خاصا بالسبب ولا عموم للفظه، فإن الآية حينئذ تقتصر عليه[3]. مثال ذلك قوله تعالى في سورة الليل﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ [4] هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق بالإجماع ومن هنا استدل بها الإمام فخر الدين الرازي، مع قوله تعالى:- ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [5] على أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول اللهﷺ، أما من ظن أنها عامة في كل عمل عمله، فهذا غلط منه، لأن هذه الآية ليس فيها صيغة عموم، حتى

---

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي: جـ1، ص: 29.

(2) راجع: البخاري، جـ4، ص108-109، وصحيح مسلم، جـ8، ص:128.

(3) انظر: الاتقان في علوم القرآن، جـ1، ص:30.

(4) الليل: 07.

(5) الحجرات: 13

نطبق عليها قاعدة: [العبرة بعموم اللفظ] وإما أن يكون السبب خاصا ولفظ الآية عامة، فالمعتمد الذي عليه جمهور الفقهاء وغيرهم "أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" ومن الأدلة على ذلك، احتجاج الصحابة والتابعين فمن بعدهم في وقائع كثيرة بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة، وكان ذلك الاستدلال شائعا بينهم لا ينكره أحد، ويدل لذلك أيضا، أنه كما قال الإمام الزركشي " قد جاءت آيات في مواضع اتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية، ونزول حد القذف، في رماة عائشة، رضي الله عنها ثم تعدّى إلى غيرهم[1] وهذه القاعدة من البدهيات لا يمكن للعالم أن يخصص ألفاظ القرآن العامة بأولئك الأعيان، دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق.

ولما كان اعتماد العلماء في إثبات أسباب النزول على الرواية، فإنهم اهتموا أيضا بالصيغ التي تكون بها الرواية، فمنها ماهو صريح في السبب، كأن يقول الراوي: سبب نزول هذه الآية هو كذا أو يذكر الحادثة، التي نزلت بشأنها الآية مشفوعة بفاء السببية، كأن يقول حدث كذا... أو سئل رسول اللهﷺ عن كذا، فنزلت الآية... ومنها ما هو محتمل للسببية، ولما تضمنته الآية من أحكام، كأن يقول:- نزلت هذه الآية في كذا... فذلك يراد تارة سبب النزول ويراد تارة أنه داخل في معنى الآية.

ومعرفة هذه الصيغ تفيد في تعيين السبب إذا تعددت الروايات في ذلك فيقدم ما هو صريح على ما هو محتمل[2].

---

(1) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ1، ص:34.

(2) راجع: مباحث في علوم القرآن لـ مناع القطان، ص:87-88.

أشهر المؤلفات في أسباب النزول

أول من عرفناه ألف في أسباب النزول-نزول القرآن الكريم: شيخ البخاري: الإمام علي بن عبد الله المديني، المتوفى سنة 234هـ ثم تتابعت المصنفات في ذلك، لكنها لم تعن بالتنقيح، و لم تلتزم ببيان السقيم من الروايات من الصحيح، مما يلزم الدارس التثبت والتحقق، وأهم الكتب المصنفة في ذلك هذان الكتابان المطبوعان:-

1- أسباب النزول للإمام المحدث أبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري الشهير بـ: الواحدي المتوفى سنة 427هـ.

2- لباب النقول في أسباب النزول: للإمام المحدث الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المتوفى سنة 911هـ، جرده من الأسانيد وعزى كل حديث لمن أخرجه.

شكل المصحف وإعجامه

يصطلح على الرموز الكتابية التي تضبط حركات الأحرف، أو تدل على إعراب الكلمة بـ "الشكل" وهي العلامات التي تدل على الفتح، والكسر والضم، والسكون، والتنوين.

وقد بدأ الشكل أول مرة بوضع "نقطة" مدورة فوق أول الحرف، للدلالة على الفتح ونقطة تحت آخره للدلالة على الكسر، ونقطة على آخره للدلالة على الضم، ونقطتين على علامة السكون، ثم تطورت هذه العلامات، فصارت- كما هو معروف الآن-الفتحة مائلا فوق الحرف، والكسرة خطا مائلا تحته، والضم واواً صغيرا فوقه، والسكون دائرة صغيرة فوقه، والتنوين علامتين من هذه العلامات.

أما الإعجام فهو في اللغة الاختبار والتمييز: يقال عجمت العود ووجدته هشا أي فحصت قوته واختبرتها، والإعجام في الكتابة يعني تمييز الحروف المتشابهة في الرسم، كالباء والتاء والثاء، وكالحاء والخاء والجيم، وكالسين والشين ونحوها[1]، ويتم تمييز هذه بوضع نقطة أو أكثر فوق الحرف أو تحته للتفريق بينها فالباء المعجمة ما كان تحتها نقطة، والثاء ما كانت فوقها ثلاث نقاط، وسمي هذا النقط"نقط الإعجام".

وعل ضوء هذا البيان يتضح أن شكل المصحف، يعني العلامات الكتابية التي عينت حركة حروف كلماته، وإن إعجام المصحف، يعني تمييز حروفه المتشابهة في الرسم، بعضها عن البعض الآخر بالنقط[2].

لم يكن تشكيل الحروف والكلمات، كذلك معروفا عند العرب أول عهدهم، فقد كانوا حديثي عهد بالكتابة والخط، وتلقوا معرفة الخط عن طريق الاتصال بين أفرادهم، وأهل العراق أو الشام، الأمر الذي أدى إلى تعلمه في الحجاز، وكان الخط الشائع هو السرياني، وهو خال من النقط، ثم تطور إلى الخط الكوفي المعروف فيما بعد.

وكانت الصحف التي كتبت على عهد النبيﷺ والمصاحف العثمانية التي وزعت على الأمصار، خالية عن الشكل والنقط، وكان العرب إذ ذاك يهتدون إلى النطق السليم بوسيلتين:

---

(1) انظر: مفردات غريب القرآن للراغب الحسين بن محمد بن الفضل الأصبهاني، مادة: عجم.

(2) راجع موجز علوم القرآن للدكتور داود العطار، ص:185. الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، سنة 1979م.

الأولى: أن السليقة العربية الأصيلة التي كانوا يتمتعون بها، والأصالة اللغوية التي فطروا عليها، تمنعان تسرب اللحن إلى ألسنتهم.

الثانية: أن أسلوب التلقي، والمشافهة، الذي كان الناس يعتمدون عليه في ضبط القرآن وحفظه، ساعدهم على القراءة، من المصاحف بكل سهولة ويسر، هذا التلقي كان يزيد من وضوح الكتابة، ويزيل ما قد يتصور من لبس، في نطق بعض الكلمات، ولا سيما التي تحتمل عددا من وجوه الأداء والقراءة، بسبب عدم توافر النقط فيها.

ولما دخل في الإسلام من غير العرب، وانحرفوا باللغة عن إعرابها الصحيح، رأى المسلمون- حفاظا على لغة التنزيل من اللحن أن يصان القرآن بالضبط، فقد أجمعت رواية الثقاة على أن أبا الأسود الدؤلي أول من وضع النحو بإشارة من الإمام علي رضي الله عنه، وأن سبب وضعه النحو هو ما رآه، أو قيل له من شيوع اللحن في قراءة القرآن، وأن وضعه للنحو كان مصحوبا بتنقيط المصحف[1].

إذن فعمل أبي الأسود هو وضع علامات تشير إلى الفتحة، والكسرة، والضمة والتنوين، وكانت هذه الإشارات تكتب بمداد يخالف المداد الذي كتب به الأصل.

استمر الناس يقرؤون في مصحف عثمان وفي بعض المصاحف إشارات أبي الأسود، فلما كثر التصحيف واللحن وانتشر بالعراق، فزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات، فيقال: أن نصر بن عاصم الليثي، أو يحيى بن يعمر، قام بإعجام الحروف المتشابهة ووضع النقط

(1) انظر: من روائع القرآن، د.سعيد رمضان البوطي، ص:52.

أفرادا وأزواجا وخالف بين أماكنها[1] وذكر ابن حجر عن هارون بن موسى أن أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر[2].

إذن فالعمل الثاني الذي تم زمن الحجاج، هو تنقيط الحروف المتشابهة أزواجا، وفرادى، من فوق ومن تحت، وجاء الخليل بن أحمد المتوفى سنة 170هـ فكان أول من وضع الهمزة والتشديد والروم والإشمام[3] فاستغنى الناس عن ضبط أبي الأسود[4].

ثم أعقبه سهل بن محمد المعروف بأبي حاتم السجستاني "ت: 248هـ" فألف كتابا في نقط القرآن وشكله.

وفي نهاية القرن الثالث الهجري بلغ رسم الخط ذروته في الإتقان والجودة والحسن واتسع على إثره نشاط استنساخ القرآن الكريم، وانتشر وشاع هذا الشكل الجديد من الخط والنقط والشكل، حتى عم وألفناه في المصاحف التي بين أيدينا.

ومما استحدث في المصاحف: الفواتح، والخواتم، والتعشير، والتحزيب والتجزئة، وكتابة أسماء السور، وعدد الآيات والسجدات، وإشارات الوقوف، وأرقام الآيات.

---

(1) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، جـ1، ص:344، وكذا ضحى الإسلام لأحمد أمين، جـ2، ص:386.

(2) راجع: تهذيب التهذيب، جـ11، ص:305.

(3) انظر: الإتقان: جـ2، ص:171.

(4) راجع كذلك كتاب: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين للشيخ علي محمد الضباع، ص:26.

قال الأستاذ علي محمد الصبّاغ:" وأما النقط والشكل وما في حكمه، من علامات الفواصل، والسجدات، والأجزاء، والأحزاب، وأقسامها، والخموس والعشور، والمواقف، والفواتح، والخواتم فقد اختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال:-

1- الجواز مطلقا، 2- الكراهة مطلقا، 3-الجواز في المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان ومن في حكمهم دون المصاحف الأمهات، وقد نسب الإمام الداني في "المحكم" هذه الأقوال إلى أربابها، والعمل في وقتنا هذا على الترخص في ذلك دفعا للإلتباس ومنعا للتحريف والخطأ في كلام رب العالمين.

وقد قيض الله تعالى لحفظ كتابه، وصيانته من التحريف، والتبديل، علما من أعلام القرآن، وجهبذا من جهابذته، وهو العلامة المحقق المغفور له الشيخ رضوان بن محمد الشهير بالمخللاتي صاحب المؤلفات المفيدة فكتب مصحفا جليل الشأن، عنى فيه بكتابة الكلمات القرآنية على قوانين الرسم العثماني، كما عنى فيه ببيان عد آي كل سورة في أولها، عند علماء العد المشهورين، على اختلاف مذاهبهم واضعا على الفاصلة المختلف فيها اسم من بعدها كذلك بين أماكن الوقوف، ووضع على كل موضع العلامة الدالة على نوع الوقف، وقد طبع هذا المصحف في المطبعة البهية في القاهرة لصاحبها الشيخ محمد أبي زيد سنة ثمان وثلاثمائة وألف هجرية[1].

كما أعيد طبع المصحف تحت وصاية مشيخة الأزهر المكونة من الشيخ محمد علي خلف الحسيني الشهير بالحداد شيخ المقارئ المصرية الأسبق

(1) انظر: تاريخ المصحف الشريف لأستاذنا الشيخ عبد الفتاح القاضي، ص:91.

والأستاذين، حفني ناصف ومصطفى عناني وأحمد الأسكندري حيث قامت بمراجعة المصحف في رسمه وضبطه وفيما يجب أن يكون عليه فقامت بكتابة ورسم القرآن الكريم كله على حسب قواعد الرسم العثماني وضبطته على ما يوافق رواية حفص بن سليمان الكوفي في أحد راويي قراءة عاصم بن أبي النجود وبينت في ترجمة كل سورة عدد آياتها على مذهب "حفص المذكور وأنها مكية أو مدنية وأنها نزلت بعد سورة كذا ووضعت لكل آية رقمها الخاص بها كما وضعت علامات للوقوف، والأجزاء والأحزاب والأرباع والسجدات والسكتات.

القراءات والأحرف

تعريفها: القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ، وفي الاصطلاح: "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء يخالف غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء كانت المخالفة في نطق الحروف أو في نطق هيئاتها"[1] وأوجز ابن الجزري التعريف بقوله:" القراءات علم بكيفيات أداء الكلمات واختلاف بعزو الناقلة"[2] قال: والمقرئ: العالم بها الذي رواها مشافهة، وليس له أن يقرأ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالمشافهة.

(1) انظر: الإتقان: ص:72-73، وكتاب: مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان، ص:147.

(2) راجع: منجد المقرئين، ص03.

• شروط القراءات:

كان للعلماء على مر العصور، وجهة نظر، في شروط القراءات اختلفت هذه الشروط، من عصر إلى عصر، ففي عصر ابن مجاهد، كان مقياس القراءات هو:- أ- أن يكون القارئ مجمعا على قراءاته أهل البصرة.

ب- أن يكون إجماع أهل البصرة، قائما على أساس من العلم بـــالقراءة، وأصالة وعمق اللغة للقارئ.

أما مقياس ابن خالويه المتوفى سنة 370هـــ فهو:-

ا-مطابقة القراءة للرسم.

ب-موافقة القراءة للعربية.

جـــ- توارث نقل القراءة.

والمقياس الثالث: هو مقياس ابن أبي طالب المتوفى سنة 437هـــ فهو:-

أ- قوة وجه القراءة في العربية.

ب-مطابقة القراءة للرسم.

جـــ- اجتماع العامة عليها.

وهناك مقياس رابع وهو مقياس الكواشي الذي توفي سنة 680هـــ ويقوم على: أ- صحة السند، ب- موافقة العربية، جـــ-مطابقة الرسم.

أما المقياس الخامس: وهو لابن الجزري الذي توفي سنة 833هـــ فيقـــوم على أساس: أ- صحة السند، ب-موافقة العربية مطلقا، جـــ-مطابقة الرســـم ولو تقديرا. وإذا قمنا بموازنة بين هذه المقاييس لوجدنا ما يلي:- أولا: ينظـــر مقياس ابن مجاهد إلى الشخص نفسه ثم يقوّمه مباشرة وحسب هذا فإن تقـــويم القارئ وهو تقويم لقراءته.

ثانيا: أن المقاييس الأربعة الأخرى نجد فيها توافقا أي إجماعا على شروط (مطابقة الرسم) (موافقة العربية) مع ملاحظة وجود خلاف بسيط بين ابن أبي طالب الذي اشترط قوة الوجه في العربية وبين ابن الجزري حيث وسع في شرط موافقة العربية لتشمل كل الوجوه، كما أن ابن الجزري وسع في مطابقة الرسم بقوله (ولو تقديرا).

مثل: -مالك- وملك بتقدير الألف.

ثالثا: يبدأ شرط مطابقة الرسم، وموافقة العربية عند ابن مجاهد بإجماع أهل بلد القارئ وهو شيء فيه توسع بالنسبة لابن أبي طالب الذي فسر العامة باتفاق أهل المدينة والكوفة، أو عند ابن خالويه، صحة السند لأنه هو المقصود (بتوارث النقل) ومن موقع الظن نقول بأن إشارة ابن أبي طالب وابن مجاهد بإجماع أهل المصر وباتفاق العامة إلى صحة السند أيضا.

وبعد هذا العرض نستطيع التوصل إلى نتيجة وهي:- أن شروط القراءة ثلاثة:-

1-مطابقة الرسم، 2-نقلها بالتواتر: هذا مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين، وبناء على ذلك فلا تثبت القراءة بالسند الصحيح، غير المتواتر ولو وافقت رسم المصحف، ووافقت وجها من وجوه العربية[1].

3-موافقتها لوجه من وجوه العربية.

ومتى اختل ركن من هذه الأركان، أطلق عليها شاذة، وقد يطلقون عليها ضعيفة أو باطلة.

هذا والقراءات الشاذة، يحرم القراءة بها، عند جمهور أهل العلم.

---

(1) راجع: غيث النفع" للصفاقسي، ص:17 مع شرح الشاطبية لابن القاصح المسمى: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي. وانظر النشر لابن الجزري.

قال الإمام الزركشي: ولا تجوز قراءته بالشواذ، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك[1].

وقال الإمام النووي في شرح المهذب: لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءات الشاذة، لأنها ليست قرآنا، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، والقراءات الشاذة ليست متواترة... ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا يجوز القراءة بالشواذ، ولا يصلى خلف من يقرأ بها[2].

وقد قسم بعض العلماء القراءات إلا خمسة أنواع:

1-**المتواترة:** وهي ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى منتهاه، ويعرفها الإمام ابن الجزري بقوله: "كل قراءة وافقت العربية مطلقا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو تقديرا، وتواتر نقلها، هذه القراءة المتواترة المقطوع بها[3]، وهذا هو الغالب في القراءات، واختص بها ثلاثة من القراء وضموا هؤلاء إلى السبعة الأولى فأطلقوا على هذه القراءة "القراءات العشر". مثاله: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعضهم دون بعض، ومن أشهر ما صنف في هذين النّوعين التيسير للدّاني، والشاطبية، وطيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

3- الآحاد: وهو ما صح سنده وخالف رسم المصحف أو أصول العربية، وهذا لا يجوز قبوله برغم صحة سنده.

4-الشاذة: وهو ما لم يصح سنده ومخالف لرسم العربية ويجب إهماله.

---

(1) راجع: البرهان، جـ1، ص:467.

(2) انظر معنى هذا النقل في التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النّووي، ص:52.

(3) منجد المقرئين: ص:15.

5- الموضوعة: وهو ما نسب إلى قائله من غير أصل فهو من الزيف ويرفض الأخذ به، مثاله القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي ونسبها إلى أبي حنيفة.

حديث الأحرف السبعة:

ومن الجدير بالذكر التنبيه، على أن الأحرف السبعة، لا يراد بها القراءات السبع المشهورة، حيث التبس على كثير من الناس، وظن بعضهم أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع، وهو وهم أشار إليه الإمام الحافظ أبو شامة بقوله:-

[ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن، هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل][1].

وقال مكي: "من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث، فقد غلط غلطا عظيما[2].

قال ابن الجزري: لا يجوز أن يكون المراد من الأحرف السبعة القراء المشهورين وإن كان يظن البعض، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا"[3].

---

(1) ذكر ذلك ابن حجر في: فتح الباري، جـ9، ص:30، انظر: تفسير الطبري، جـ1، ص:65، تعليق الأستاذ محمد محمود شاكر.

(2) انظر: الإتقان، جـ1، ص:80.

(3) راجع: النشر في القراءات العشر، جـ1، ص:51.

المراد بالأحرف السبعة

لقد تعددت أقوال العلماء ومذاهبهم في المعنى المراد بالأحرف السبعة حتى زادت على الأربعين، وقد أورد السيوطي خمسة وثلاثين قولا، ذكرها في الإتقان وقال: إنها أربعون.

ونقل الزرقاني أن هذه الأقوال تصل إلى الأربعين وفصل القول في أحد عشر قولا وأورد بإيجاز تسعة أقوال أخرى[1].

وقال ابن حجر في "فتح الباري" وذكر القرطبي عن ابن حبّان أنه بلغ الاختلاف في معنى الأحرف السبعة إلى خمس وثلاثين قولا و لم يذكر القرطبي منها سوى خمسة[2].

ولعل أجمع الأقوال وأقومها، في ذلك أن يقال: الأحرف السبعة هي الأوجه التي وسع الله بها على الأمة فبأي وجه منها قرؤوا فقد أصابوا، واللفظ القرآني مهما تنوعت طرق أدائه وقراءته لا يخرج التغاير فيه عن سبعة أوجه هي:

1- الاختلاف في وجوه الإعراب تغير المعنى أم لا وذلك نحو:-

قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [3].

قرئت هذه الآية بوجهين برفع آدم ونصب كلمات، وبنصب آدم ورفع كلمات وهنا تغير الإعراب والمعنى كما هو واضح.

2-الاختلاف في الحروف، مثل يعلمون وتعلمون بالياء والتاء.

---

(1) انظر: مناهل العرفان، جـ1، ص:184-177.

(2) راجع فتح الباري لإبن حجر، جـ9، ص:23.

(3) البقرة: 37

3-الاختلاف في الأسماء من إفرادها، وتثنيتها، وجمعها، وتذكيرها، وتأنيثها، وذلك مثل: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ [1].

قرئت الآية بجمع أماناتهم وإفرادها [لأمانتهم].

4-الاختلاف في التقديم والتأخير مما يعرف له وجه في كلام العرب كقوله تعالى: ﴿ فيقتلون ويقتلون﴾[2] بفتح الياء في الأولى وضمها في الثانية، وقرئت بضم الأولى وفتح الثانية.

5-الاختلاف بإبدال كلمة بكلمة ويغلب أن تكون إحداهما مرادفة للأخرى كقوله تعالى: ﴿ وطلح منضود﴾[3]، فقد قرئت وطلع منضود.

6- الإختلاف في الزيادة والنقصان وذلك كقوله تعالى:-﴿ وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار﴾[4] .قرئت: من تحتها[5] .

7-اختلاف اللهجات، في الفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والهمز والتسهيل، وقلب بعض الحروف أو نقلها.

وهذا الوجه الأخير، هو أهم الأوجه إذ به يتحقق التيسير والتسهيل على الأمة[6] أو لم يكن آية للناس، ونعمة كبرى ما بقيت السموات والأرض أن يتفضل الله تعالى بإنزال هذا الكتاب المعجز الجامع لمصالح الدنيا والدين، والغني بتشريعه

---

(1) المؤمنون: 08

(2) التوبة: 111

(3) الواقعة: 29

(4) التوبة: 100

(5) زيادة [من] لابن كثير، أنظر: حجة القراءات للإمام أبي زرعة، ص:322.

(6) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: جـ1، ص:155.

القوي المحكم الذي: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[1].

حقا إنه لأعظم آية ومعجزة لأعظم نبي، ولخير أمة أخرجت للناس﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[2].

وقال جل وعلا:﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾[3].

- **القراء العشرة ورواتهم:-**

القراء العشرة هم القراء الذين عنى العلماء بنقل قراءتهم وهم على قسمين:-

سبعة اختارهم ابن مجاهد.

وثلاثة اختارهم ابن الجزري فكملوا العشرة.

وهاهم موزعين كالتالي:

1-نافع بن عبد الرحمن المدني (ت 169).

وراوياه هما: 1-قالون: عيسى بن ميناء ت: 220هـ.

1- ورش: عثمان بن سعيد ت: 197هـ.

القارئ الثاني هو: عبد الله بن كثير المكي، ت120.

وراوياه هما: 1- قنبل: محمد بن عبد الرحمن ت بعد 280.

---

(1) فصلت: 42

(2) النساء: 82

(3) العنكبوت: 51

2- البزي: أحمد بن محمد ت: 240.

القارئ الثالث: أبو عمرو بن العلاء البصري: ت:154.

وراوياه هما:1- الدوري: حفص بن عمر ت: 250.

2- السوسي: صالح بن زياد ت: 261.

القارئ الرابع: عبد الله بن عامر الشامي ت: 118.

وراوياه هما:1- ابن ذكوان: عبد الله بن أحمد ت: 242.

2- ابن عمار: هشام بن عمار ت: 245.

القارئ الخامس: عاصم بن أبي النجود الكوفي ت:127

وراوياه هما:1- شعبة بن عياش ت: 194.

2- حفص بن سليمان ت قريبا من 190.

القارئ السادس: حمزة بن حبيب الزيات الكوفي ت: 156.

وراوياه هما:1- خلف بن هشام البزار ت: 229.

2- خلاد بن خالد ت: 220.

القارئ السابع هو: علي بن حمزة الكسائي الكوفي ت: 189.

وراوياه هما:1- الدوري وهو الراوي لأبي عمرو البصري السابق.

2- الليث بن خالد أبو الحارث ت:240.

وإلى هؤلاء الأعلام والحفظة الكرام يشير الإمام الشاطبي -رحمه الله- مثنيا عليهم بقوله:-

جزى الله بالخيرات عنّا أئـــمة لـــنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا

فمنهم بدور سبعة قد توسطت سماء العـــلى والعدل زهرا وكملا

إن هؤلاء القراء السبعة من أمصار العلم المعروفة التي انبثق منـــها علـــم النبوة- كما يقول ابن تيمية- وهي: مكة والمدينة، والكوفة والبصرة، والشـــام،

ويلاحظ من معرفة أحوال هؤلاء القراء أن حظ الكوفة أكبر من غيرها من الأمصار، إذ كان منها ثلاثة من سبعة وهم: عاصم وحمزة والكسائي.

كما أن هؤلاء القراء جميعا كانوا من رجال القرن الثاني الهجري أدرك معظمهم القرن الأول، وتلقوا عن الصحابة، ولذلك فقد كان معظمهم من التابعين، وأولهم وفاة هو ابن عامر، الذي توفي سنة 118 وآخرهم وفاة الكسائي المتوفى سنة 189.

كذلك هؤلاء القراء من الموالي باستثناء قارئين وهما:-

أبو عمر وبن العلاء، وعبد الله بن عامر، كما كانوا جميعا من المعمرين الذين أتيح لهم أن يقرئوا الناس القرآن مدة طويلة، وتخرجت عليهم أجيال، ويكفيهم فخرا أنهم كانوا جميعا من العلم، والورع والاستقامة، والخلق بالمكان الأسمى.

يلاحظ أن بعض القراء تلقّى رواتهم القراءة عنهم مباشرة وبعضهم تلقى الرواة المذكورون القراءة عنهم بالواسطة.

أسماء القراء الثلاثة المكملين للعشرة وهم كما يلي:-

1- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني ت: 130.

وراوياه هما: 1- عيسى بن وردان ت:160.

2- سليمان بن جمّاز ت بعد 170.

2- يعقوب بن اسحاق الحضرمي البصري (ت205)

وراوياه هما:

1-رويس محمد بن المتوكل (ت:238)

2- روح عبد المؤمن الهذلي (ت:235).

3-خلف بن هشام البزار البغدادي (ت229)

وراوياه هما:-

1- إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق (ت:286).

2- إدريس بن عبد الكريم الحداد (ت: 292).

هؤلاء القراء الثلاثة من رجال القرن الثاني الهجري، فآخرهم وفاة، توفي بالربع الثاني، من القرن الثالث الهجري.

كما يلاحظ أن في هؤلاء القراء، من ينتسب إلى المدينة، والبصرة بالإضافة إلى خلف، الذي كان راوياه لحمزة الكوفي.

كذلك كان هؤلاء القراء الثلاثة، من الفضل والتقوى والمعرفة، بمكانة عالية شأنهم شأن سابقيهم .

سر إعجاز القرآن الكريم في فواتح السور:-

القرآن الكريم كتاب الله العزيز، نزل به الروح الأمين من رب العالمين على خاتم النبيين في ثلاث وعشرين سنة وهي زمن الرسالة وعدد سوره مائة وأربع عشرة سورة كما سبق ذكره، أولها الفاتحة وآخرها سورة الناس.

منها تسع وعشرون سورة افتتحها الله سبحانه وتعالى بنصف حروف الهجاء: أ-ب-ت...إلخ.

ومنها سور افتتحت بحرف واحد مثل سورة [ن، ص، ق،]

ومنها سور افتتحت بحرفين اثنين، كسورة، حم، طس، يس، ومنها ما افتتحت بحروف ثلاثة كفاتحة البقرة [ألم]

آل عمران، ويوسف ألر، وهود، ويونس كذلك كفاتحة الشعراء، والقصص [طسم].

ومنها ما فاتحته أربعة حروف، كسورة الأعراف، ألمص، وسورة الرعد، ألمر، ومنها ما افتتح بخمسة حروف كاملة كفاتحة مريم كهيعص، وفاتحة الشورى [

حم، عسق] فما معنى هذه الفواتح؟ وما عسى أن يكون وراء هذه الفواتح من المعاني والأسرار القرآنية.

نزلت هذه الفواتح على رسول الله ﷺ فيما نزلت عليه من القرآن الكريم، فبلغها الناس وتلاها على من حوله من المؤمنين والكافرين، فما استغربها مؤمن ولا عابها مشرك، من خصوم الدعوة، روي أنه قدم على النبيﷺ فيمن قدم عليه من الوفود وفد نصارى نجران في ستين راكبا، فيهم أربعة عشر من أشرافهم فمنهم العاقب أميرهم، ويسمى عبد المسيح، والأيهم صاحب خزانة المال في دولتهم، وأبو حارثة أسقفهم وكبير قساوستهم، وكان يكرمه ملوك الروم لمكانته عند النصارى، وعلمه بالنصرانية فوافقوا رسول الله ﷺ وهو يصلي العصر بالمسجد، وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون إلى المشرق، فقال رسول الله ﷺ دعوهم، فلما فرغوا أقبل العاقب عبد المسيح والأيهم السيد على رسول الله، فناداهما أن أسلما، فقالا أسلمنا من قبلك، فقالﷺ كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعوا كما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، فلما كابروا وجادلوا بالباطل وانصرفوا و لم يدينوا بالإسلام نزل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، فافتتح السورة بتبرئة نفسه تبارك وتعالى مما قالوا، وقد سئل أبو بكر رضي الله عنه عن فواتح السور هذه فقال: " لكل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور".

وقال علي بن أبي طالب: " إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي".

وهذان القولان يدلان على أن الصحابة رأوا حروف الفواتح من أسرار القرآن ومكنون العلم، الذي يفوضون علمه إلى الله، علام الغيوب فلذلك توقف

السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، عن الخوض في هـذه الفواتح، وسكتوا عن تأويلها، واستدل السلف لمذهبهم بالكتاب والسنة جميعا.

قالوا فواتح السور من القرآن المتشابه، والمتشابه عندهم لا يمكـن تفسـيره ولا يعالجه إلا من في قلبه مرض، ومن يبتغي فتنة في دينهم، قال تعـالى:﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [1] فيكـون الوقـف عندهم في الآية على اسم الجلالة الله، أي لا يعلم المتشابه إلا الله وحده، وأمـا أهل العلم والتمكين فمبلغ أمرهم أن يؤمنوا بتروله وقرآنيته، ويفوضوا علم المراد به إلى الذي يعلم السر وأخفى[2].

وفي الحديث الذي أخرجه الحاكم والبيهقي، عن ابن مسعود، عن النبيﷺ "كان الكتاب الأول يترل من باب واحد، وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب عن سبعة أحرف:-

زجر، وأمر وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال"

الحديث هذا هو مذهب السلف الصالح في فواتح السور.

---

(1) آل عمران: 07

(2) انظر: مباحث في علوم القرآن للدكتور: صبحي الصالح فقد أجاد وأفاد في الموضوع، ص:282.

وأما أكثر الخلف، ولا سيما المتكلمين فقد ذهبوا إلى التأويل درءا للمفاسد، وردا على الملاحدة وقالوا: القرآن كله هدى ونور وشفاء لما في الصدور، والنور لا لبس فيه ولا خفاء، وكيف نهتدي بكلام لا علم لنا به[1].

إن آيات الكتاب كلها قد خاطب الله بها العالمين، وكيف يصح الخطاب بما لا يفهم، فإن تكرار هذا الخطاب مرارا في تسع وعشرين سورة كان عبثا والعبث عليه تعالى محال.

إذن يجب علينا أن نفقه هذه الفواتح ونعالج تأويلها لنستنبط معانيها كما قال سبحانه وتعالى:- ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[2] وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[3].

وقال عزوجل: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾[4].

كذلك خاض علماء الخلف في أسرار فواتح السور، وحاولوا تأويلها واستنباط معانيها وأسرارها .

(1) انظر: مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان، ص:217.

(2) سورة محمد: 24

(3) النساء: 82

(4) النساء: 83

تأويل الفواتح:

لقد ذهب الخلف إلى أن الوقف في الآية على قوله تعالى:﴿والراسخون في العلم﴾ أي كما اختص الله بعلم القرآن المتشابه فقد منّ بعلمه على أهل التقوى، واليقين من العلماء العاملين. فالعطف هنا كالعطف في الآية الكريمة:-﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾ [1] .

وأما معاني هذه الحروف فقد اختلفوا عليها، وتفرقوا وذهبوا في تأويلها كل مذهب، ولكل وجهة هو موليها.

1- قيل إن هذه الحروف جاءت في فواتح السور للتنبيه، ولفت الأنظار فكانت هذه الحروف يفتتح بها الوحي، كقرع الأجراس ليصيغ السمع، ويستعد لما يوحى إليه من عالم الغيب، وكذلك فإن المعاندين من أعدائه، كانوا يتهربون من سماع القرآن ويشوشون عليه، كما وصفهم الله عزوجل بقوله: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾[2] .

فكانوا إذا ترامت إلى آذانهم تلك الحروف عجبوا منها، وأنصتوا إلى ما بعدها، ولكن هذا الرأي في نظري ضعيف، لأن ما افتتح بالحروف من القرآن تسع وعشرون سورة فقط، وما عداها لا تتحقق فيه هذه الحكمة لأنه لم يفتتح بالحروف الأبجدية.

---

(1) آل عمران: 18

(2) فصلت: 26

2) [الحروف رموز] وقيل إن هذه الحروف رموز لبعض أسماء الله الحسنى أو لصفاته العلية، ولا يستبعد هذا الرأي فإنهم قالوا [ألم]: الله لطيف مجيد وقالوا [الـمر]: ﴿أنا الله أسمع وأرى﴾ وفي اللسان العربي ما يسوغ هذا الرأي الذي يجتزئ من الكلمة بحرف منها وأنشدوا:-

قلنا لها قفي قالت "ق" لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

فالإيجاف هوالسير بسرعة قال تعالى:- ﴿ **وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير**﴾ [1] .

والشاهد في كلمة-ق- فقد أريد بها هنا وقفت فاكتفي من الكلمة بحرف منها.

3-وقيل إن حروف الفواتح كلها أربعة عشر حرفا نصف حروف التهجي وفيها اسم الله الأعظم مفرقا، فمن أوتي من الله علما ونورا استطاع أن يجمعه ويعرفه، ولا نستبعد هذا القول، لأن أسماء الله وإن كانت تسعة وتسعين كلها من القرآن، وقد قال رسول اللهﷺ "**إن لله تسعة وتسعون اسما مائة غير واحد، ما من عبد يدعو بهذه الأسماء إلا وجبت له الجنة، إنه وتر يحب الوتر، هو الله الذي إله إلا هو الرحمن الرحيم....**"

4-وعند بعضهم أن هذه الحروف جاءت في فواتح السور للقسم[2] بها فمعنى "ن" والقلم وما يسطرون، أقسم بنون، والقلم وما يسطرون، ومعنى ص والقرآن ذي الذكر، أقسم بصاد والقرآن ذي المكانة الرفيعة أنك مرسل من عند الله،

---

(1) الحشر: 06

(2) راجع: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، ص:3-7.

وانظر كذلك: الإتقان للإمام السيوطي: جـ2، ص134.

وهذا وجيه لأن حروف الهجاء هي معدن الكلام، ومفتاح العلم، وأدوات الكتابة والقراءة، وحسبك أن ما نزل على النبيﷺ من القرآن جاء بالدعوة إلى تعلم القراءة والكتابة، والتنويه بفضل القلم، لذلك اجتهد النبيﷺ في مكافحة الأمية والدعوة إلى تعلم القراءة والكتابة حتى جعل فداء بعض الأسرى في بدر أن يعلموا عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة .

والذي أراه في الموضوع وانشرح له صدري، فهو مذهب السلف في السكوت عن هذه الحروف، وتفويض العلم بها إلى الله، ولا غضاضة في أن تبقى في القرآن أسرار مكنونة، ليمتحن بها الله المؤمنين من عباده.

فإن كان ولا بد أن نأخذ برأي من آراء الخلف في تأويل هذه الحروف، فهو رأي الفراء[1] والمبرد ومفاده: أن هذه الحروف إشارات، إلى إعجاز القرآن ورمز إلى التحدي، ذلك لأن الله ما بعث في أمة من نبي ولا رسول إلا ومعه شاهد من ربه، وهو معجزة أي أمر خارق للعادة يعجز أهل زمانه، ومن عجيب حكمة الله في معجزات النبيين، أن تكون المعجزة مناسبة لبيئة الرسالة، وأن تعجز المرسل إليهم، فيما عرفوا من العلم وتقدموا إليه من أنواع المعارف، فكأن الله يقول لمعارضي القرآن إنه مركب من هذه الحروف ومع ذلك لا تستطيعون الإتيان بمثله، وهي الحروف نفسها التي يتركب منها كلامكم. وقد ذهب إلى هذا القول ابن تيمية-رحمه الله تعالى-.

المحكم والمتشابه من القرآن

الإحكام في اللغة: الإجادة، والإتقان ووضع الشيء موضعه بحكمة ودقة ونظام، ومنه إحكام البناء، والقرآن كله بهذا المعنى محكم قال تعالى:﴿ **كتاب أحكمت آياته**﴾ [2] وقال: ﴿**وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم**﴾ [3]

---

(1) هو أبو زكريا، يحيى بن زياد الفراد الديلمي من مواليد بني أسد كان إماما ثقة من أشهر كتبه "معاني القرآن، توفي سنة 207هـ.

(2) هود: 01

(3) الزخرف: 04

وقولـــه: ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [1] والمتشابه، والإشتباه في اللغة هو المشاركة بين الشيئين في الأوصـــاف والكيفيات فيقولون: أشبه الولد أباه وشابهه إذا شاركه في صفة مـــن صفاتـــه، ويقولون: أشبه الولد بأمه إذا شاركها في صفة من صفاته، قال الشاعر:-

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبـــه فما ظلم

أصبح فيه شبه من أمـــــه من عظم الرأس إلى خطمه

ومنه قوله تعالى: ﴿تشابهت قلوبهم﴾ [2] وقولـــه: ﴿والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه﴾ [3] والقرآن كله بهذا المعنى متشابه يشبه بعضـــه بعضـــا في الصـــدق والإعجاز وسمو المعـــاني، وعليـــه قولـــه: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾ [4] فالمشتبه والمتشابه الملتبس الخفي أمره [5] فيقولون: اشـــتبهت الأمـــور يريدون أنها التبست وأشكلت، و لم تتضح كما يقولون: اشتبهت القبلة يعنـــون أنها خفيت على من يريدها لا يدري في أي الجهات هي.

وعليه قوله تعالى: ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ [6]

---

(1) فصلت: 41-42

(2) البقرة: 117

(3) الأنعام: 141

(4) الزمر: 26

(5) أورد السيوطي في الإتقان جـــ2، ص:02، تعريفات عديدة للمحكم والمتشابه، ارجع إليه لزيادة إيضاح، وانظر: القاموس المحيط، جـــ4، ص:100-288.

(6) البقرة: 70

وقوله جل وعلا: ﴿وأتوا به متشابها﴾[1] فالمتشابه على هذا ما لم تتضح دلالته تمام الوضوح وعجز العقل البشري عن إدراك مدلوله، والإحاطة بمعناه وهو بهذا المعنى يقابل المحكم ويعتبر قسيمه فبعض القرآن متشابه، وبعضه محكم والمحكم أم الكتاب، واضح الدلالة مفهوم المراد[2].

قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ...﴾[3].

يرى فريق من العلماء بأن الوقف على لفظ الجلالة غير واجب، ولفظ: الراسخون، معطوف عليه وجملة يقولون بعدها حال والمعنى أنه لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، والراسخون في العلم وفي علمهم بهذا وذاك من المحكم والمتشابه يقولون: ﴿كلّ من عند ربنا﴾.

وآخرون يرون : أن الوقف على لفظ الجلالة واجب ثم يقع الاستئناف بالواو، والراسخون مبتدأ خبره: "يقولون".

والمعنى: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله وحده، أما الراسخون في العلم مؤمنون بأنه هو المحكم من عند الله[4].

---

(1) البقرة: 25

(2) انظر: مباحث في علوم القرآن للدكتور/ صبحي الصّالح، ص: 282.

(3) آل عمران: 07

(4) راجع: البرهان في علوم القرآن للزكشي، ج2/68-75.

إرتأى الرأي الأول طائفة: منهم مجاهد الذي روى عن ابن عباس قوله: "أنا ممن يعلم تأويله".

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك تصريحا بذلك واختاره الإمام النووي في شرح مسلم وقال: إنه الأصح لأن الله يبعد أن يخاطب عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته.

وذهب أبو الحسن الأشعري والمعتزلة: إلى أنه لا بد أن يكون في جملة الراسخين في العلم من يعلم المتشابه ورجح هذا الرأي أبو إسحاق الشيرازي وقال:- ليس في القرآن شيء استأثر الله تعالى بعلمه بل وقف العلماء عليه لأن الله تعالى قال هذا مدحا للعلماء فلو كانوا لا يعرفون معناه لشاركوا العامة، وصححه الإمام الرازي في التقريب واستدل بقوله تعالى:- ﴿**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت...**﴾[1].

فأخبر أن الكتاب كله فصلت آياته وبينت، كما استدل بقوله :﴿ **وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس**﴾ فدل : على أن القليل من الناس يعلمها وهم : الراسخون، وارتأى الرأي الثاني: كثيرون من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ويقول الإمام السيوطي: إنه مذهب أهل السنة والجماعة، وقال إنه أصح الروايات[2] عن ابن عباس.

---

(1) هود: 01

(2) انظر: كتاب العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى، جـ2، ص: 688.

والسيوطي في الإتقان: 5/2.

وانظر: كذلك، البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ2، ص:72-73.

الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم

1-إن القرآن الكريم يشتمل على دعوة الخواص والعوام، وطبائع العوام تتفرع في كثير من الأحوال، عن إدراك الحقائق المجردة، كما هي عليه، فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا مشار إليه ظن أنه عدم فيقع في التعطيل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على ما يناسب أفهامهم، ويكون ذلك بجواره ما يدل على الحق الصريح، فالقسم الأول: يكون من المتشابهات والقسم الثاني: يكون من المحكمات، وهذا عين ما جاء به القرآن وتشير إليه آية آل عمران.

2- وجود المتشابه في القرآن يفتح المجال لاجتهاد المجتهدين، في فهم معناه، ورده إلى المحكم، وبذلك تتفاوت الدرجات بين الناس ويحصل للمجتهدين على مشقتهم في الاجتهاد، الأجر والثواب من الله تعالى.

3-وجود المتشابه في القرآن، يفتح المجال لتحصيل الوسائل، والعلوم التي بواسطتها يجتهد المجتهدون، في فهم معناه، كعلوم النحو واللغة، والمعاني والبيان. وأصول الفقه، وأصول العقائد، والآيات والأحاديث، المحكمة التي يرد إليها المتشابه، وفي ذلك من الثروة العلمية والفكرية، والاشتغال بالعلم وتحصيله، ما لا يخفى على القول: بأن من المتشابه ما لا يمكن إدراكه وفهمه وتكون الحكمة في وجوده ابتلاء العباد بالوقوف عنده وعدم الانحراف به ابتغاء الفتنة بل التفويض والتسليم لله، والإيمان المطلق الغيبي والتعبد به ولو بالتلاوة، مع ما في ذلك من إظهار عجز البشر ومحدودية طاقتهم العقلية، بعد أن أعملوها فعجزوا، وأنه نزل بلغتهم ولسانهم، ومعهم عقولهم وعجزوا عن إدراكه، فيدل ذلك على أن

القرآن معجز، وأنه من عند الله الذي أراد تعجيزهم، وتأكيد معنى قول الحق تبارك وتعالى لهم في محكم كتابه:﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[1] .

هل للمحكم مزية على المتشابه؟

كل من المحكم والمتشابه كلام الله، بلاغة وإعجازا، وهداية وفضلا وشرفا، فمن حيث البلاغة، فالقدر الذي به الإعجاز متحقق في كل منهما، لكن هل لبعض القرآن أكثر بلاغة عن البعض الآخر؟

خلاف بين العلماء وبحث آخر له موطنه ولا بأس في إثبات ذلك أو نفيه على حسب ما بين في موضعه، ومن حيث الهداية والدلالة على المعاني، المحكم: لا يحتاج فهم معناه إلا بالرجوع إلى معرفة اللغة والوضع.

والمتشابه: يحتاج إلى نظر وإعمال فكر وترجيح ليصير على الوجه المطابق للمحكم، فالمحكم أصل، وأما المتشابه ففرع يرد إلى أصله، والعلم بالأصلي أسبق من العلم بالفرعي والمحكم كله يعلم، والمتشابه منه ما لا يعلم، إلا بعد إعمال الفكر والترجيح.والله أعلم.

إعجاز القرآن الكريم:-

الإعجاز في اللغة: مشتق من العجز، والعجز الضعف أو عدم القدرة[2] وأعجاز الأمور أواخرها، وعجز الشيء وعجزه، وعجزه: آخره، يذكر ويؤنث[3] .

---

(1) الإسراء: 85 راجع في الموضوع بالتفصيل: البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ2، ص:75. ومباحث في علوم القرآن للدكتور/ صبحي الصالح، ص:183.

(2) انظر: لسان العرب لابن منظور، جـ5، ص:369.

(3) نفس المصدر: 370/5.

وأعجزه الشي فاته وفلانا وجده عاجزا، والتعجيز التثبيط، والنسبة إلى المعجز ومعجزة النبي ﷺما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة[1].

والمعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة[2].

وإعجاز القرآن: يقصد به، إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله.

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

أجمع المسلمون على إعجاز القرآن الكريم، الذي حسم قضية التحدي بأولى آياته التي نزلت، كما أجمعوا على إعجازه البلاغي والبياني، الذي بهر العرب وفصحاءهم، وأبان عن عجزهم، زمن النبوة بأن يأتوا بسورة من مثله، فالذي لا ريب فيه هو أن إعجازه البلاغي لم يكن قط موضع جدل أو خلاف، وإنما كان الجدل بين الفرق الإسلامية في اعتبار الوجه في الإعجاز، أو القول معه بوجوه أخرى[3] فمن هذه الوجوه التي أضيفت إلى إعجازه البلاغي، ما ذكره الإمام الباقلاني: كأخبار القرآن عن الأمور الغيبية، وانباؤه عن أحوال الأمم السابقين، وسير المتقدمين[4] ولا شك في أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة لأن ذلك ليس بالأمر العام في كل سورة من سور القرآن، بل تتعدى سور القرآن

---

(1) راجع: القاموس المحيط للفيروز آبادي، 181/2.

(2) انظر معنى ذلك في تفسير القرطبي، 96/1، وفتح الباري: 581/6.

(3) انظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ص: 72.

(4) راجع: إعجاز القرآن بهامش الإتقان، أبو بكر الباقلاني، جـ1، ص:47-51.

وآياته تلك الوجوه التي أشار إليها الباقلاني حيث نجد أن صاحب البرهان قد أورد اثني عشر وجها من أوجه الإعجاز القرآني، كالإعجاز بالصرفة والإعجاز من حيث تأليفه الخاص به....[1] وغير ذلك.

القول بالصرفة

زعم النظام[2] وهو من أئمة المعتزلة في العصر العباسي بأن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدورا لهم، لكنهم عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات[3].

إن النظام من خلال تصريحه بهذا يرى أن العرب كانت لهم القدرة، على الإتيان بمثل القرآن لكن المولى تعالى نزع منهم تلك القدرة وأحدث فيهم ذلك العجز، فصار القرآن معجزة كباقي المعجزات، لكن الجاحظ تمكن فيما بعد من إبعاد هذه الشبهة، وعدّل نظرية الصرفة، لتساير القول بإعجاز النظم القرآني، مع عجز العرب رغم قدرتهم.

لقد اشتهرت نظرية الصرفة عند المعتزلة دون غيرهم، وقد قيل إن النظام هو أول من أحدث هذه النظرية ثم تبعه فيها بعض من أصحابه[4] كما أشار العلماء المخالفون إلى أن نظرية الصرفة ليست هي الوجه في الإعجاز واستدلوا بأن المولى سبحانه وتعالى لم يسلب هؤلاء قدرتهم، وإنما احتفظوا بها ورغم ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن

---

(1) انظر: البرهان للزركشي، جـ2، ص: 93-107.

(2) هو إبراهيم بن سيار، أبو إسحاق النظام المتوفى سنة 231هـ.

(3) البرهان في علوم القرآن للزركشي، 4/6-7.

(4) انظر: المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، لأحمد أبو زيد، ص:263.

على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[1] فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم، وإذا كانت المعارضة ممكنة ثم منعها الله تعالى بصرف الهمم، وسلب القدرة، على هؤلاء لم يكن القرآن معجزا في ذاته، وإنما يكون بالمنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه[2].

إن ردود العلماء على نظرية الصرفة يبين أنها ليست الوجه الوحيد في الإعجاز القرآني ولذلك اجتهد بعض أعلام المعتزلة في تطوير نظرية الصّرفة فقرروا أن وجه الإعجاز كامن في فصاحة القرآن ونظمه العجيب، فالجاحظ وهو من تلاميذ النظام صنف كتابه:-

"نظم القرآن " احتجاجا لإعجاز هذا النظم ومخالفا به رأي من اكتفوا فيه بالقول بالصرفة دون نظر إلى بلاغته المعْجزة التي تفوق بلاغات البشر.

ومن هنا عرفت نظرية الصّرفة مفهوما آخر، ارتبط بالنظم القرآني، حيث لعبت آراء الجاحظ وجهوده دورا هاما في إرساء مفهوم النظم القرآني ومدى ارتباط هذا المفهوم بقضية الصرفة.

فالقرآن الكريم معجز، من حيث نظمه وتركيبه، لأن كل حرف وكلمة وجملة فيه تكون متناسقة، ومنتظمة كحبّات العقد المتراصّة، فلا تجد كلمة قرآنية إلا وقد وضعت في مكانها وكأنها خلقت لذلك المكان الذي تشغله من هنا امتاز النظم القرآني بالحسن التام، دون اختلاف أو تفاوت فيه، فهو في مرتبة واحدة من الفصاحة والبلاغة.

---

(1) الإسراء: 88

(2) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جـ1، ص:7.

وقد أكثر المعتزلة من إثارة قضية إعجاز القرآن، وكذلك فإن عددا من علماء أهل السنة المتذوقين للبيان العربي كتبوا في ذلك من أمثال الإمام: عبد القاهر الجرجاني، والرازي، والزملكاني، وقد بقي من الكتب المؤلفة في القرنين الرابع والخامس عن إعجاز القرآن: كتاب "الرماني" وهو: النكت في إعجاز القرآن ومؤلفه هو: - علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة 384هـ[1]، وكتاب الخطابي وهو: بيان إعجاز القران[2] ومؤلفه هو: أحمد بن محمد المتوفى سنة 388، وكتاب الباقلاني وهو: إعجاز القرآن ومؤلفه هو أبو بكر محمد بن الطيب المتوفى سنة 403هـ هذا وإن مما يتصل بموضوع إعجاز القرآن وسمو بيانه موضوع الإعجاز العلمي.

وعليه، فإن الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم، أو السنة النبوية، بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى[3] ووصف الإعجاز هنا بأنه علمي، نسبة إلى العلم، والعلم هو: إدراك الأشياء على حقائقها. أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافا تاما والمقصود بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي.

(1) طبع هذا الكتاب في دار المعارف بمصر تحت عنوان: "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن" بتحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام.

(2) طبع أكثر من مرة وحققه أخيرا السيد صقر.

(3) راجع: الراغب الأصفهاني: المفردات ص: 343، والشوكاني إرشاد الفحول، ص:04.

الإعجاز العلمي بين المجيزين والمانعين

ينقسم العلماء في هذا الموضوع إلى فريقين:

فريق يجيزه ويدعو إليه ويرى فيه فتحا جديدا وتجديدا في طريق الدعـــوة إلى الله وهداية الناس إلى دين الله.

وفريق: يرى في هذا اللون من التفسير خروجا بالقرآن عن الهدف الذي أنـــزل من أجله، وإقحاما له في مجال متروك للعقل البشري، يجـــرب فيـــه ويصيـــب ويخطئ.

الفرق بين التفسير العلمي، والإعجاز العلمي:-

الذي يظهر أن التفسير العلمي بحسب الإطلاق أعـــم مـــن الإعجـــاز العلمي، فكل إعجاز علمي فهو من قبيل التفسير العلمي دون العكس هذا مـــن حيث العلاقة بينهما، أما من حيث وضعهما كمصطلحين فيمكـــن أن نفـــرق بينهما بما يلي:-

1-الإعجاز العلمي خاص بما يتعلق بالتوفيق بـــين الحقـــائق الشـــرعية والحقائق الكونية، والتفسير العلمي يتناول النظريات والإشارات الضمنية.

2- أن الإعجاز العلمي متفق عليه بين أهل التفسير، والتفسير العلمـــي مختلف فيه، بل إن من العلماء من منعه مطلقا[1] كالشاطبي ومن وافقـــه كـــأبي حيان وانتهاء بمحمود شلتوت ومحمد حسين الذهبي ومن وافقهم.

---

(1) انظر: مقدمة تفسير الطبري للشيخ أحمد شاكر، 74/1.

3- أن التفسير العلمي -إذا لم تراع ضوابطه وشروطه- يكون سببا في وقوع الخطأ في فهم كتاب الله، لسعة مجاله، ولذا فإن كثيرا من الباحثين المعاصرين انحرفوا فيه عن الصواب، فوقعوا في أخطاء شنيعة عندما حاولوا ربط فهومهم للوحي بنظريات وفروض خاطئة[1].

أما الإعجاز العملي في القرآن والسنة فهو أوضح من ذلك وأبعد والخطأ فيه أقل إذ إنه غالبا ما يكون في عدم الربط بين الحقيقة الشرعية والكونية، إلا أن كثيرا من الباحثين لا يفرقون بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي.

فالتفسير العلمي هو: اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان[2].

وقد وقع الخلاف في هذا النوع من التفسير بين العلماء، في فترة طويلة ولا زال الخلاف قائما حتى هذه الساعة والصواب في المسألة- والله أعلم- أن هذا جائز لأنه من قبيل التفسير بالرأي وممن أجازه وهم الكثرة فيمثلهم الإمام محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد أبو زهرة ومحدث المغرب أبو الفيض أحمد بن صديق الغماري، ونستطيع أن نعد منهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، صاحب أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، وهؤلاء العلماء الذين يتبنون التفسير العلمي للقرآن يضعون له

---

(1) راجع: التفسير العلمي للقران في الميزان، د/ أحمد عمر أبو حجر، ص:133، 434، وقد نقل أسئلة على التفسير المردود، ثم أردفها بأمثلة من التفسير المقبول.

(2) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي، جـ2، ص:549.

الحدود التي تسد الباب أمام الأدعياء الذين يتشبعون بما لم يعطوا ومن هذه الحدود.

1-ضرورة التقيد بما تدل عليه اللغة العربية فلا بد من:-

أ- أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي.

ب- أن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها.

جـ-أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها، خصوصا قاعدة أن لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية .

2- البعد عن التأويل في بيان إعجاز القرآن العلمي.

3-أن لا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تجعل هي الأصل فما وافقها قبل وما عارضها رفض.

4- أن لا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم لا بالفروض والنظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص أما الحدسيات والظنيات فلا يجوز أن يفسر بها القرآن لأنها عرضة للتصحيح والتعديل إن لم تكن للإبطال في أي وقت.

أما المانعون من التفسير العلمي فيمثلهم في هذا العصر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت، ود: محمد حسين الذهبي وهؤلاء المانعون يرون:

1- بأن القرآن كتاب هداية وإن الله لم ينزله ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

2-إن التفسير العلمي للقرآن، يعرّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار، ولا الرأي الأخير.

3-إن التفسير العلمي للقرآن، يحمل أصحابه والمغرمين به، على التأويل المتكلف الذي يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم.

4-إن هناك دليلا واضحا من القرآن، على أن القرآن ليس كتابا يريد الله به شرحا لحقائق الكون، وهذا الدليل هو ما روى عن معاذ أنه قال:" يا رسول الله إن اليهود تغشانا، ويكثرون مسألتنا عن الأهلة، فما بال الهلال يبدو دقيقا، ثم يزيد حتى يستوي ويستدير، ثم ينقص حتى يعود كما كان، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج.... ﴾ [1].

وخلاصة الحديث أقول:-

إن التفسير العلمي للقرآن مرفوض، إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم تثبت، و لم تستقر، و لم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية.

ومرفوض إذا خرج بالقرآن عن لغته العربية، ومرفوض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلا، وتجعل القرآن تابعا، وهو مرفوض إذا خالف ما دل عليه صحيح السنة.

وهو مقبول بعد ذلك إذ التزم القواعد المعروفة في أصول التفسير، من الإلتزام بما تفرضه حدود اللغة وحدود الشريعة والتحري والاحتياط الذي يلزم كل ناظر في كتاب الله وهو أخيرا مقبول، ممن رزقه الله علما بالقرآن، وعلما بالسنن، الكونية.

أصول التفسير المتفق عليها عند علماء المسلمين:-

ينبغي أن نعلم أن العلماء متفقون على منهج لفهم كتاب الله، فلا يمكن تجاهله أو تخطيه بل لا بد من اتباعه، وهو:-

---

(1) البقرة : 189

1-أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فصل في موضع آخر، وما اختصر في موضع، فقد بسط في موضع آخر[1].

2-أن يفسر القرآن بالسنة الصحيحة لقوله تعالى مخاطبا نبيه: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[2] ولقوله تعالى: ﴿ .... فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[3].

ولهذا قال رسول الله ﷺ :" **ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**"[4] يعني السنّة.

3-أن يفسر القرآن بأقوال الصحابة، الصحيحة المتفق عليها معنى فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم.

4-أن يفسر القرآن بأقوال التابعين الصحيحة المتفق عليها معنى لأنهم تلقوها عن الصحابة[5].

---

(1) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جـ4، ص: 174، ومن مراجع ذلك تفسير: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي..

(2) النحل: 44

(3) النساء: 59

(4) انظر: المسند للإمام أحمد، جـ4، ص: 131، وكذا رسالة الإمام الشافعي، ص32، الفقرة 96 فما بعدها.

(5) راجع: المستدرك للحاكم، والإتقان: 181/4.

5- الأخذ بمطلق العربية، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ولذا قال مالك-رحمه الله-:- "لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا"[1].

6- التفسير بمقتضى الشرع دون الأخذ بمجرد الرأي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في مقدمة التفسير [وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن والحديث، وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين، فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه...[2].

طبقات المفسرين

اشتهر من الصحابة الخلفاء الراشدون، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وأكثرهم كلاما في التفسير عبد الله بن العباس، فهو ترجمان القرآن وحبر الأمة وشيخ المفسرين.

ويلي الصحابة التابعون، وأحسنهم كلاما الحسن البصري، وسعيد بن جبير، ومجاهد مولى ابن عباس، وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود، يتلوهم عكرمة وقتادة والسدي، والضحاك بن مزاحم، وأبو صالح وأبو العالية، وطاووس وعطاء الأسود بن يزيد، وإبراهيم النخعي، والشعبي، وعبد الرحمن بن زيد بن

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان كما في الإتقان للسيوطي:182/4.

راجع: الموافقات الشاطبي، 391/3.

(2) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 243/13.

ومقدمة تفسير ابن جرير الطبري للشيخ أحمد شاكر، 74/1.

أسلم ومحمد بن كعب، وعطية بن سعيد، والربيع بن أنس، واسماعيل بن عبد الرحمن السدي، وتلا هؤلاء من جمع أقوال الصحابة والتابعين" مالك وسفيان بن عيينه، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وعبد بن حميد، وأبو بكر بن أبي شيبه والبخاري وعلي بن أبي طلحة، وابن أبي حاتم، وابن ماجة، وابن مردويه، وابن حبان وإبراهيم بن المنذر، وأبو جعفر بن جرير الطبري، الذي ألف تفسيره المشهور وجمع فيه أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها.

وفيما بعد نقلت الأقوال محذوفة الأسانيد مما قد يسبب صعوبة التمييز بين الصحيح منها وغير الصحيح، وتوالى التصنيف في معاني القرآن ومشكله وكثير من علومه وغريبه، وناسخه ومنسوخه، وإعرابه وأحكامه، كمصنفات أبي علي الفارسي، وأبي إسحاق الزجاج وأبي جعفر النحاس، في معاني القرآن، ومصنفات أبي محمد مكي بن أبي طالب، في تفسير القرآن وفي غريبه، وفي ناسخه ومنسوخه وفي إعرابه، وما إلى ذلك من مصنفاته الكثيرة فيما يتعلق بالقرآن.

وألف القاضي أبو بكر بن العربي، في تفسيره القرآن كتابه: أنوار الفجر وقانون التأويل كما ألف القاضي أبو محمد بن عطية تفسيره وهو من أحسن التفاسير.

ثم ألفت موسوعات في التفسير، تجمع فنونا من المعرفة، فمنهم من وجه النظر إلى البحث في معاني القرآن وتفسيره، وما فيه من أساليب فصاحة، وبلاغة كالزمخشري، وهو بارع في ذلك لولا أنه ملأ كتابه، من مذهب الاعتزال وحمل آيات القرآن على طريقهم، ومنهم من وجه النظر إلى إعرابه، والتوسع في بيان

وجوه ذلك كالزجاج في تفسيره معاني القرآن، والواحدي في تفسيره البسيط وأبي حيان في تفسيره البحر، ومنهم من وجه النظر إلى القصص والأخبار عمن سلف كالثعلبي والخازن، حيث أشار القرآن إلى كثير من تاريخ الأمم الغابرة، وإلى بدء الخلق وتكوين الأرض والسموات، فألجأت الحاجة في تفسير ذلك إلى الرجوع إلى الكتب السابقة، وإلى من أسلم من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار، ووهب بن منبه فقصوا من القصص ما ظنوه تفسيرا، وكان حسنا لو اقتصر على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد في الحديث وتجنب ما ذكر فيها مما يمس منصب النبوة أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه. ومنهم من جعل جزءا كبيرا من تفسيره أبحاثا في الاستنباط من آيات الأحكام كالقرطبي، وذلك علاوة على ما في مصنفات خاصة بها كمصنفات القاضي ابن العربي، والجصاص وإسماعيل القاضي، وغيرهم، ومنهم من ضمن تفسيره البحث في أصول العقائد كالرازي وتفسيره جامع، ومنهم من اتجه إلى الوعظ أو الإشارة إلى معارف الإلهية، لا يمنع إرادتها ظاهر المعنى مع عدم توغل في الباطن، وعدم حمل القرآن على ما تقتضيه اللغة العربية، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس، ومنهم من عول على النظير والتحقيق والتدقيق وما إلى ذلك.

الوضع في التفسير

1 ــ نشأة الوضع في التفسير

الوضع في التفسير هو تفسير القرآن الكريم أو نصوص منه بأحاديث موضوعة والحديث الموضوع: هو المختلق المصنوع... وهو شر الأحاديث الضعيفة ولا يحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه [1].

والتفسير الموضوعي نشأ مع نشوء الوضع في الأحاديث لأنهما كانا أول الأمر مزيجا لا يستقل أحدهما عن الآخر فكما أننا نجد في الحديث، الصحيح، والحسن، والضعيف، وفي رواته من هو موثوق به، ومن هو مشكوك فيه ومن عرف بالوضع، نجد مثل ذلك فيما روي من التفسير، ومن روى من المفسرين.

ويكاد يجمع أهل الحديث على أن الوضع ابتدأ أو ظهر في أعقاب الفتنة التي عمت المسلمين، وذلك حين اختلف المسلمون وتفرقوا ودخل في الإسلام من أخفى الكفر وأظهر الإسلام، بقصد الكيد له وتضليل أهله فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة ليصلوا بها إلى أغراض سيئة.

وكان بدأ ظهور الوضع سنة إحدى وأربعين من الهجرة [2]. حيث نشأ في حياة الصحابة وقد شعروا به رضي الله عنهم وحاربوه وقد انتشر حتى استاء كثير من الصحابة والتابعين على الأوضاع التي ساعدت على انتشاره.

---

(1) مقدمة ابن الصلاح مع شرح الزين العراقي التعبير والإيضاح ص: 130، تحقيق عبد الرحمن عثمان.

(2) التفسير والمفسرون. د: محمد حسين الذهبي، جـ 1 ص: 158.

فقد روى الزهري قال: دخلنا على أنس بن مالك بدمشق وهو وحده يبكي، قلت ما يبكيك؟ «قال لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيعت» (1).

وقد نقله غير واحد من المفسرين كالطبري مع أن جميع القرائن تثبت بأنه موضوع ولا يصح. ومن الأحزاب من يجيز الكذب على رسول الله ﷺ في سبيل الانتصار لمذهبه.

2 ــ كثرة الفتن وانشغال المسلمين بالشؤون السياسية أدى إلى انصرافهم عن متابعة السنة النبوية المطهرة، فاندس خلالهم من أراد لهذا الدين بالطمس ولمعالمه بالدروس، فوضع ما شاء لتشويه العقيدة وزلزلة النفوس المؤمنة.

3 ــ كذلك من بين أسباب الوضع في التفسير الوعاظ وقسم من الزهاد الذين وضعوا الأحاديث ترغيبا أو ترهيبا ومنهم نوح بن أبي مريم وضع أحاديث في فضائل السور، سورة سورة يزعم أنه يريد أن لا ينصرف الناس عن القرآن إلى الحديث قال ابن الصلاح: «وروي لنا عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم أنه قيل له: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة، سورة فقال:إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حسبة»(2).

4 ــ وهناك سبب يختص به التفسير دون الحديث من ناحية الوضع، وهو أن التفسير بالرأي، كان في أول أمره منظورا إليه بعدم ارتياح، وخاصة من

---

(1) وفي رواية أخرى: قال أنس : «**لا أعرف شيئا مما كان على عهد رسول الله ﷺ. قيل: الصلاة؟ قال: أليس صنعتم ما صنعتم فيها؟**».

(2) التقييد والإيضاح، شرح مقدمة ابن الصلاح في المقدمة، ص: 132.

علماء المسلمين ويعتبرون الاشتغال بالحديث أقرب إلى الله من الاشتغال بالتفسير، وقالوا إن التفسير كلام الناس، والحديث كلام رسول الله ﷺ فتحاشى كثير من الناس الخوض في التفسير بالرأي فإن قدح في ذهن أحدهم رأي في آية يفسرها أو يرى أن وجه تفسيرها الصحيح هو الذي ذهب إليه، وضع لرأيه هذا سندا يوصله إلى أحد الصحابة أو التابعين المشهورين بالتفسير، وذلك ليكسب الرأي شرعية ولئلا يقال عنه إنه مفسر بالرأي.

وقال الحسن البصري: لو خرج عليكم أصحاب رسول الله ﷺ ما عرفوا منكم إلا قبلتكم[1].

ودخل رجل على ربيعة بن عبد الرحمن فوجده يبكي فقال له: ما يبكيك وارتاع لبكائه؟ فقال له أمصيبة دخلت عليك ؟ فقال: لا ولكن استفتي من لا علم له، ودخل في الإسلام أمر عظيم ولبعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السراق [2].

هذه الآثار تدل على أن الوضع تفشى وكثرت البدع والمروق من الدين في حياة الصحابة الكرام، وأيام التابعين، ولكن مع هذا لم يكن الوضع بالشكل الذي طمس المعالم الصحيحة للسنة، ولا للنور الساطع للقرآن الكريم، لأن هذا الوضع تصدى له سلف الأمة وخلفها، حتى نفضوا الغبار الذي تركه الوضع على السنة النبوية في التشريع والتفسير على السواء.

ونستطيع أن ندرج أسباب نشوء وتفشي الوضع في التفسير فيما يلي:

---

(1) طبقات ابن سعد (28/7)، تهذيب التهذيب (339/1)، جامع التحصيل (340/1).

(2) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر جـ 2 ص: 246.

أسباب نشوء وانتشار الوضع

1 ــ التعصب المذهبي، وانقسام المسلمين إلى أحزاب اندس ضمن أفرادها من أرادوا كيدًا للإسلام، فوضعوا الأحاديث بما يلائم اتجاه تلك الأحزاب، وفكرها فتقبلها أفراد الأحزاب المخلصين والصادقين بحسن نية لأنها لاقت هوى في نفوسهم ولم ينتبهوا إلى أنها موضوعة ولم يسيئوا الظن برواتها، ثم إنها قوّت دافع الانقسام في نفوسهم والأحاديث يقابلها تأويلات للنصوص القرآنية أو أنها تخصص، قسم من الآيات بما يلائم فكرة الحزب كما رُوي حديث تصدق علي بن أبي طالب بخاتمه، وهو في الصلاة يخصصون فيه قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين أمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ (1).

وهو حديث موضوع باتفاق أهل العلم (2).

وعلى العموم فإن الوضع في التفسير وقع حين نشأت الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة، حين أرادت أن تسند عقيدتها بالنصوص القرآنية، فلما لم تطاوعهم النصوص على ما ذهبوا إليه وضعوا الأحاديث في تفسير هذه الآيات على ما يريدون وذلك كالمعتزلة والرافضة وغلاة الصوفية وغيرهم(3).

---

(1) المائدة: 55.

(2) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص: 78.

(3) التفسير والمفسرون ــ د/الذهبي (158/1)، مناهل العرفان للزرقاني (490/1)، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ــ محمد الصباغ ص 143.

2 ــ كما كان الانتماء السياسي في صدر الإســـلام أثـــره في وضـــع الأحاديث.

ويلاحظ أن ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قد جـــاوز حـــدّ الكثرة مما يجعلنا نميل إلى القول بأنه قد وضع عليهما في التفسير أكثر مما وضـــع على غيرهما، والسبب في ذلك، أن عليا وابن عباس رضي الله عنهما من بيـــت النبوة، فالوضع عليهما يكسب الموضوع ثقة وقبولا، وتقديسا ورواجا ممـــا لا يكون لشيء مما ينسب إلى غيرهما.

وفوق هذا فقد كان لعلي من الشيعة ما ليس لغيره، فنسبوا إليـــه مـــن القول في التفسير ما يظنون أنه يُعلي من قدره ويرفع من شأنه. وابن عباس كان من نسله، الخلفاء العباسيون، فوجد من الناس من تقرب بكثرة ما يرويه لهم عن جدهم ابن عباس، مما يدل على أن اللون السياسي كان له أثر ظاهر في وضـــع التفسير (1).

ونحن نجد في الأحاديث الموضوعة في تفسير قسم من الآيات آراء لا بأس بها ولكن وضع لها مفسروها أسانيد إلى أحد الأئمة.

أهم من اشتهر بـــه

أكثر من اشتهر في الوضع في التفسير هو مقاتل بن سليمان وتفسيره فيـه آراء تفسيرية لا بأس بها ولكن كثير من هذه الآراء يضع لها أسانيد محاولا إثبات

(1) التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبي جـــ 1 ص: 159.

صحتها وقوة ما جاء فيها عن طريق نسبتها إلى أحد أئمة التفسير من الصحابة والتابعين.

أثر الوضع في التفسير بصفة عامة

كان من وراء هذا الوضع الذي دخل في التفسير أن ضاع كثير من هذا التراث الذي خلفه لنا أعلام المفسرين من السلف ولو أن أصحابها نسبوها لأنفسهم لكانت ذات قيمة، ولكن الذي أخل بها هي الأسانيد التي وضعت لها.

وهذه الآراء بما أنها جيدة كانت محل قبول من كثير من المفسرين نقلوها في تفاسيرهم، فلا نجد تفسيرًا بالمأثور خاليا من الأحاديث الموضوعة التي تفسر قسما من الآيات. فنجد الوضع في تفسير الطبري على جلالة قدره، ومنها ما ينبه عنها، ومنها ما يتركها على علاتها، وربما يدلل على قبوله لها وكذلك في تفسير ابن كثير أحاديث ضعيفة كثيرة ولا يخلو أي منهما من الأحاديث الموضوعة.

كان هناك أثر آخر للوضع في التفسير وهذا الأثر عكسي أو سلبي وهو عدم ثقتنا بالتفسير بالمأثور ثقة كاملة لأنها تحوي هذا النوع من التفسير. ولذا فإنه ينبغي التثبت عند الرواية للتفسير ومعرفة السند حتى لا يقبلَ الدّخيلُ أو يُرَدَّ الأصيلُ.

وهناك أثر ثالث للتفسير الموضوع، وهو أن قبول آراء أصحابها المكذوبة نسبتها إلى غيرهم جعل كثيرًا من المفسرين ينقلونها، كما هي ظنا منهم أنها صحيحة نجد إلى جانب ذلك تأثر التفاسير العقلية، التي لا تعتمد كليا على الأثر،

كذلك نجدها تنقل قسما من الأحاديث الموضوعة، كما نجد ذلك في تفسير الكشاف الذي نقل جميع الأحاديث في فضائل السور في كل سورة حديث وكذا تفسير البيضاوي في كتابه: أنوار التنزيل وحقائق التأويل[1].

إن مما لاشك فيه أن إخضاع تفسير القرآن الكريم لميول شخصية ومذاهب ذات مفاهيم مغالية، فتح على المسلمين باباً خطيراً ولج منه أعداء الإسلام للدس فيه وتشويه صورته وإفساد عقائده، كما مُني التفسير بأصحاب الميول المختلفة والنزعات المنحرفة حين وضعوا أقوالاً في التفسير ونسبوها إلى رسول الله ﷺ أو إلى بعض أصحابه، زورا وبهتانا...

وهذا النوع من الانحراف يمكن معالجته والوقوف في وجهه إن نحن أخذنا بأسبابه وسلكنا الحق في صدّه وعلاجه، كما قال تعالى: ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ [2].

وإذا تصفحنا الاتجاهات المنحرفة في التفسير، **نراها ترجع إلى عوامل** ثلاثة:

الأول: فساد نوايا الوضاعين، الذين نسبوا أقوالا مزعومة إلى النبي ﷺ أو إلى أصحابه، لتحقيق غاياتهم المنكرة وأغراضهم المشبوهة وإزالة وكشف هذا النوع سهل إذا رجعنا إلى كتب التراجم والرواة وسرعان ما تنكشف أحوالهم وتنفضح أوضاعهم.

---

(1) وكتاب "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل وجوه التأويل"للزمخشري. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (11/2)، معجم الأدباء لياقوت الحموي (123/19)، شذرات الذهب (121/4)، طبقات المفسرين للسيوطي ص 41.

(2) الأنبياء: 17. وانظر: بدع التفاسير لعبد الله الغماري ص 28، تفسير القرآن الكريم للشيخ شلتوت ص 45، التفسير والمفسرون د/الذهبي (183/1)، مناهل العرفان للزرقاني (199/1).

الثاني: أن يعتقد المفسر معنًى من المعاني، ثم يريد أن يحمل الألفاظ القرآنية على ذلك المعنى الذي يميل إليه ويعتقده.

الثالث: أن يفسر القرآن بمجرد المعنى الذي يراه المفسر من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم بالقرآن وهو الله جل وعلا وإلى المنزل عليه وهو رسول الله، والمخاطب به وهم الناس جميعا (1).

والخطأ الذي يرجع إلى العامل الثاني يقع في أربع صور:

الصورة الأولى

أن يكون المعنى الذي يريده المفسر صوابا، غير أن لفظ القرآن لا يدل عليه ولا يُراد منه، وهذه الصورة تنطبق على كثير من تفاسير الصوفية والوعاظ الذين يفسرون القرآن بمعان صحيحة في ذاتها لكنها غير مرادة في النص وإن كان المعنى الظاهر لا ينافيها.

وذلك مثل كثير مما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في كتابه عندما تعرض إلى قوله تعالى: ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ﴾ (2).

نجده يقول ما نصه: ((أي اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها أو اخرجوا من دياركم: أي أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم...)) (3).

---

(1) أصول التفسير وقواعده ـــ خالد عبد الرحمن العك. ص: 228.

(2) النساء: 66.

(3) تفسير السلمي: ص 49. وكتابه: حقائق التفسير وُلد سنة 330 هـ وتوفي 412هـ وهو يعد شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان. انظر: طبقات المفسرين للداودي (137/2)، التفسير والمفسرون (50/3).

الصورة الثانية

أن يكون المعنى الذي يريده المفسر صحيحا، لكن ظاهر النص لا يحتمله، وهذه الصورة تنطبق على تفاسير بعض الصوفية الذين يفسرون القرآن بمعان إشارية صحيحة في حد ذاتها، ومع ذلك فإنهم يقولون: إن المعاني الظاهرة للآية غير مرادة، وتفسير هؤلاء أقرب ما يكون إلى تفسير الباطنية ومن ذلك ما فسر به سهل التُستَري قوله تعالى: ﴿...لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (1).

حيث يقول ما نصه: «لم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة، وإنما أراد معنى مساكنة الهمة لشيء هو غيره...» (2).

الصورة الثالثة

أن يكون المعنى الذي يريده المفسر خطأ، وهو مع هذا يحمل عليه لفظ القرآن مع أنه لا يدل عليه ولا يراد منه، وهذه الصورة تنطبق على ما ذكره بعض المتصوفة من المعاني الباطلة وذلك كالتفسير القائم على وَهِمْ وحدة الوجود (3).

---

(1) البقرة: 35.

(2) تفسير التستري ص: 16 واسمه: عبد الله التُستَري المولود سنة مائتين 200 من الهجرة وهو من كبار العارفين وتوفي بالبصرة سنة 283هـ وهذا التفسير مطبوع في مجلد صغير الحجم. انظر: وفيات الأعيان (389/1)، التفسير والمفسرون د/الذهبي (389/2).

(3) وحدة الوجود معناها: ليس هناك إلا وجود واحد كل العالم مظاهر ومجال له فالله هو الموجود الحق وكل ماعداه ظواهر وأوهام، ولا توصف بالوجود إلا بضرب من التوسع والمجاز. انظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم (68/4)، الملل والنحل للشهرستاني (66/1).

وهذه الصورة تنطبق على التفسير المنسوب لابن عربي الذي يفسر قوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ (1) ما نصه: «واذكر اسم ربك الذي هو أنت، أي أعرف نفسك ولا تنسها فينسك الله...» (2).

الصورة الرابعة

أن يكون المعنى الذي يريده المفسر نفيه أو إثباته خطأ بينًا وهو مع هذا يسلب لفظ القرآن ما يدل عليه ويراد به. ويحمل على ذلك الخطأ تعمدا، وهذه الصورة تنطبق على تفاسير أهل البدع والمذاهب الباطلة من الغلاة والمتعصبين، كتفسير بعض الغلاة المتعصبين "الجبت والطاغوت" بأبي بكر وعمر، ونجدهم تارة يحتالون على صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى متكلف غير مقبول ولا معقول، وذلك إذا أحسوا بأن نص القرآن يصادم مذهبهم الباطل، كما فعل بعض المعتزلة في تفسير قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (3) حيث فسرها بمعنى: «ناظرة نعمة ربها» وذلك كله ليصرف الآية عما لا يأتي في مذهبه... (4).

---

(1) المزمل: 8.

(2) تفسير ابن عربي (352/2). وهو محيي الدين بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بابن عربي ــ بدون أداة التعريف ــ توفي سنة 638هـ. راجع شذرات الذهب (191/5)، دائرة المعارف للبستاني (599/1)، خاتمة الفتوحات (554/4)، التفسير والمفسرون د/الذهبي (407/2)، دائرة المعارف الإسلامية (236/1).

(3) القيامة: 21، 23.

(4) أمالي السيد المرتضى جـ 1 ص: 28. وكتابه: غرر الفوائد ودرر القلائد وهو يشتمل على محاضرات أو أمالي أملاها الشريف المرتضى في ثمانين مجلسا تشتمل على بحوث في التفسير

وأما الخطأ الذي يرجع إلى العامل الثالث، فهو يقع على صورتين:

الصورة الأولى

أن يكون اللفظ محتملا للمعنى الذي ذكره المفسر لغة، ولكنه غير مراد وذلك كاللفظ الذي يطلق في اللغة على معنيين أو أكثر، والمراد منها واحد بعينه حسب السياق، فيأتي المفسر فيحمله على معنى آخر من معانيه غير المعنى المراد وذلك كلفظ: "أمّة" فإنه يُطلق على معان متعددة منها: الجماعة العظيمة، والطريقة المسلوكة في الدين، والرجل الجامع لصفات الخير، فحمله في هذه الآية:﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمّة﴾ (1) على غير معنى الطريقة المسلوكة في الدين غير صحيح وإن احتمله اللفظ لغة.

وكذا لفظ "العين" الذي يطلق على معان كثيرة منها: العين البصيرة والذهب، والجاسوس، وعين الماء فإذا أطلق غير المعنى الأخير على الآية: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ (2) يكون غير صحيح وإن احتمله اللفظ لغة..

والحديث والأدب. وهو لا يحيط بتفسير القرآن كله بل ببعض من آياته التي يدور أغلبها حول العقيدة ونجده يسعى بكل جهوده إلى الوصول إلى مبادئه الاعتزالية عن طريق التفسير. راجع ترجمته في: وفيات الأعيان (14/2 ــ 17).

(1) الزخرف: 22. وانظر: التعرف لمذهب أهل التصوف ــ أبو بكر الكلاباذي ص 29 ــ تحقيق أمين النووي ــ مكتبة الكليات الأزهرية ــ ط1: سنة 1969م، الفرق بين الفرق للبغدادي ص 302، التفسير والمفسرون د/الذهبي (403/1).

(2) الإنسان: 18.

الصورة الثانية

أن يكون اللفظ موضوعا لمعنى بعينه، ولكنه غير مراد في الآية، وإنما المراد معنى آخر غير ما وضع له بقرينة السياق مثلا فيخطئ المفسّر في تعيين المعنى المراد، لأنه اكتفى بظاهر اللغة فيفسر اللفظ على معناه الوضعي وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ (1) فيجعل "مبصرة" من الإبصار بالعين على أنها حال من الناقة، وهذا خلاف المراد، إذ المراد: آية واضحة على صدق نبوته (2)...

وما يمكن قوله في هذا البحث هو الكشف والتنبيه على مدى الانحراف الذي سلكه بعض المفسرين، وأن من أعظم أسبابه البدع الباطلة التي دعت بأصحابها إلى أن حرفوا الكلم عن مواضعه وفسروا كلام الله تعالى وسنة رسوله بغير ما أريد به وتأولوه على غير تأويله.

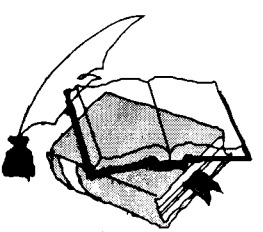

---

(1) الإسراء: 59.

(2) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص: 32، 42، التفسير والمفسرون د/الذهبي (1/55 — 56)، الإتقان للسيوطي (2/181)إرشاد الفحول تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ص 21، الإحكام للآمدي (2/196)شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص171نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني ص 31.

أولا: معنى الإسرائيليات

لفظ الإسرائيليات، جمع مفرده إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق أبو الأسباط الاثني عشر [1]. وقد ذكر اليهود في القرآن الكريم منسوبين إلى أبيهم إسرائيل[2]، فيقال: بنو إسرائيل. وقد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون**﴾ (3) . وقوله أيضا: ﴿ **إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**﴾ [4].

وإسرائيل: كلمة عبرانية مركبة من"أسرى"بمعنى عبد أو صفوة. ومن **"أيل"** وهو الله فيكون معنى الكلمة عبد الله وصفوته من خلقه [5].

و يطلق علماء المسلمين كلمة **"إسرائيليات"** على جميع العقائد غير الإسلامية، ولاسيما تلك العقائد والأساطير، التي دسها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي، منذ القرن الأول الهجري [6].

---

(1) الإسرائيليات في التفسير والحديث: الأستاذ محمد حسين الذهبي، نسخة مقدمة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ص: 12.

(2) من اشهر أسماء بني إسرائيل، العبريون والإسرائيليون، ويهود، وقد قيل انهم سموا بالعبرانيين، نسبة لإبراهيم الذي ذكر في سفر التكوين باسم "إبراهيم العبراني" لأنه عبر نهر الفرات وأنهارا أخرى

(3) البقرة: 40.

(4) النمل: 76.

(5) انظر دائرة معارف القرن العشرين أ، ص: 280 تحت كلمة إسرائيل.

(6) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير د/ رمزي نعناعة ص: 73.

ومنهم من قال: "الإسرائيليات" اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الإسلام على القصص والأخبار اليهودية، والنصرانية، التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي، بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الإسلام، أو تظاهروا بالدخول فيه [1]، ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل، بظاهره على القصص الذي يروى أصلا عن مصادر يهودية يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرها بل توسع بعض المفسرين، والمحدّثين، فعدّوا من الإسرائيليات، ما دسّه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم، على التفسير والحديث، من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار ملفقة ومكذوبة قصد تشويه عقائد المسلمين كقصة الغرانيق [2]، وقصة زينب بنت جحش وزواج الرسولﷺ منها [3].

و مفاد هاتين القصتين ما رواه الإمام ابن كثير في تفسيره عن سعيد بن جبير قال: «قرأ رسول الله بمكة "النجم" فلما بلغ قوله تعالى ﴿أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى﴾ [4]. قال: فألقى الشيطان على لسانه: «تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهم لترتجى».

وقد قرر ابن كثير، أن قصة الغرانيق تروى بروايات كلها مرسلة، وقال: ولم أرها مسندة من وجه صحيح.

---

(1) نفس المرجع ص 73.

(2) أخرج هذه القصة غير واحد من المفسرين بروايات مختلفة منها ما رواه ابن كثير في تفسيره (229/3) ــ ط ــ التجارية، الدر المنثور (366/4)، البحر المحيط لأبي حيان (381/6).

(3) روح المعاني: الألوسي، ج 17 ص: 161. ط المنيرية.

(4) النجم: 19 ــ 20. وراجع: فتح الباري لابن حجر (54/10).

ونقل الألوسي في تفسيره عن القاضي عياض في الشفاء ما نصه: «يكفيك في توهين هذا الحديث أنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل، وإنما أولع به ومثله المفسرون، والمؤرخون، المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم» (1). ثم قال الألوسي بعد ذلك مباشرة: «وفي بحر المحيط ــ يعني تفسير البحر المحيط لأبي حيان: أن هذه القصة سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية فقال: هذا من صنع الزنادقة» (2).

أما قصة زينب بنت جحش فقد جاءت كذلك ووردت في كتب التفسير بروايات متعددة منها ما ذكره الألوسي في تفسيره حيث قال: «وفي تفسير علي بن إبراهيم أنه ﷺ أتى بنت زيد فرأى زينب وهي جالسة وسط حجرتها تسحق طيبا بفهرها، فلما نظر إليها قال: «سبحان خالق النور تبارك الله أحسن الخالقين فرجع».

فجاء زيد فأخبرته الخبر، وقال لها: لعلك وقعت في قلب رسول الله ﷺ فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول الله ﷺ ؟ فقالت: أخشى أن تطلقني ولا يتزوجني فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: أريد أن أطلق زينب، فأجابه بما نص الله تعالى. وقد أمسك الحافظ ابن كثير في تفسيره، عن ذكر هذه الرواية وأمثالها وقال: «ذكر أبو حاتم وابن جرير ههنا آثارا عن بعض

---

(1) الشفاء للقاضي عياض (117/2 وما بعدها) ــ طبعة عثمانية ــ تفسير ابن كثير (491/3)، وانظر: مجلة المنار ــ محمد عبده ــ العدد الثالث ــ السنة الرابعة ــ تفسير الفاتحة مع ثلاث مقالات تفسيرية ــ المقالة الثانية ــ مقالة الغرنيق ــ ص 99 ــ مطبعة الموسوعات بمصر ــ 1319هـ

(2) روح المعاني للألوسي (161/17)، البحر المحيط لأبي حيان (381/6).

السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها، فلا نوردها»[1].

ويقول الأستاذ محمد أبو زهرة في مقال له نشر ما نصه: «إن هذه القصة من وضع يوحنا الدمشقي في العهد الأموي. فقد دس ذلك النصراني أن معنى الآية: أن النبي ﷺ رأى زينب زوج زيد في حال أثارت عشقه فعشقها، وأراد زواجها، فراجت تلك الفرية بين تابعي التابعين أنفسهم حتى جاءت على لسان قتادة منسوبة إليه وقبلها ابن جرير و لم يردها فخر الدين الرازي، فكانت بلا شك أعظم الافتراء وهي تتجافى عن نسق الآية وعن خلق النبي صلوات الله وسلامه عليه و لم يثبت في الصحاح شيء من هذا و لم ينسب هذا التخريج لأحد من الصحابة بطريق يقبل مثله» [2]. اهـ

مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير وتطوره

الواقع أن تسرب الإسرائيليات إلى التفسير والحديث، مسبوق بتسرب الثقافة الإسرائيلية، إلى الثقافة العربية في الجاهلية.

فالعرب في جاهليتهم كان يقيم بينهم جماعة من أهل الكتاب، جلهم من اليهود الذين نزحوا إلى جزيرة العرب من قديم، والذين هاجروا إليهم هجرتهم

---

(1) الحافظ ابن كثير في تفسيره ج 3/ص 491، تفسير الطبري (11/21).

(2) مجلة لواء الإسلام العدد الثامن من السنة الخامسة ص: 502.الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله. وراجع: الكشاف (431/2)، وقد ذكر الزمخشري سبب نزول الآية 37 من سورة الأحزاب، و لم يتعقبه بتصحيح أو تضعيف، والآية هي: (وتخفي في نفسك ما الله مبديه).
وانظر ما رواه البخاري في صحيحه في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة وسبب نزول الآية. صحيح البخاري (147/6).

الكبرى سنة سبعين من ميلاد المسيح عليه السلام، فرارا من العذاب والنكال الـــذي لحقهم على يد " **تيطس الروماني**" (1).

وقد حمل اليهود معهم إلى جزيرة العرب، ما حملوا من ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية، وما يتصل بها من شروح، وما توارثوه جيلا بعد جيل عـــن أنسابهم وأحبارهم، كما كانت لهم أماكن يقال لها: "المدارس" يتدارسون فيها ما توارثوه من ذلك وأماكن أخرى، يقيمون فيها عباداتهم وشعائر دينهم.

وكان للعرب في جاهليتها رحلات، يرحلونها مشـــرّقين أو مغربـــين، وكانت لقريش كما يحدّثنا القرآن رحلتان: رحلة الشتاء إلى اليمـــن، ورحلـــة الصيف إلى الشام، وفي اليمن والشام كثير من أهل الكتـــاب، معظمـــهم مـــن اليهود، وبدهي أنه كانت تتم بين اليهود والعرب الذين كانوا يستوطئون هـــذه البلاد لقاءات ولاشك أن هذه اللقاءات ــ سواء كان منها في جزيرة العرب، وما كان خارجا عنها كان عاملا قويا، من عوامل تسرّب الثقافـــة اليهوديـــة إلى العرب، الذين كانت ثقافتهم حينئذ ــ بحكم بداوتهم وجاهليتـــهم، محـــدودة ضيقة، لاشك أيضا أن استمداد العرب من الثقافة اليهودية حينئذ كان محـــدودا وضيقا كذلك لأن ضيق الأفق الثقافي للعرب قبل الإسلام، لا يمهد لتلاحم ثقافي واسع.

---

(1) انظر تاريخ اليهود في بلاد العرب لإسرائيل والفنون ص: 9، وتاريخ العرب قبل الإســـلام لجواد علي جـــ 6، ص: 24، وبنوا إسرائيل من أسفارهم، لمحمد عـــزة دروزة ص: 315، التفسير والمفسرون د/الذهبي (165/1)، نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن د/السـيد أحمد خليل ص 37، محاضرات في النصرانية محمد أبو زهرة ص 84 ــ 85.

ثم جاء الإسلام، وجاء كتابه الخالد بعلومه وتعاليمه، وكانت دعوة الإسلام أوّل ما ظهرت وانتشرت بين سكان الجزيرة العربية، وكانت عاصمة الإسلام دار الهجرة "المدينة" وما حولها، وعلى بعد منها كانت تقيم طوائف يهودية، كبني قينقاع وبني قريظة، وبني النضير، ويهود خيبر وتيماء وفدك وكانت بحكم هذا الجوار بين اليهود والمسلمين ــ تتم لقاءات بينهم، لا تخلو عادة من تبادل العلوم والمعارف: كان النبيﷺ يلقى اليهود وغيرهم من أهل الكتاب ليعرض عليهم دينه، وكان اليهود يلقون رسول الله ليحكموه فيما شجر بينهم أو ليسألوه عن بعض الأسئلة، إما تحديا وتعجيزا، وإما امتحانا واختبارًا، لصدق نبوته وقد حكى القرآن الكريم كثيرًا من ذلك.

وكذلك كانت تتم لقاءات، بين بعض المسلمين وبعض اليهود، تدور فيها مناقشات ومجادلات وتقع فيها سؤالات واستفسارات، ثم كان هناك ما هو أهم من هذا كله وهو دخول جماعات من علماء اليهود وأحبارهم في الإسلام كعبد الله بن سلام، وعبد الله بن صوريا [1]، وكعب الأحبار، وغيرهم ممن كانت لهم ثقافات يهودية واسعة، وكانت لهم بين المسلمين مكانة مرموقة ومركز ملحوظ، وبهذا كله التحمت الثقافة الإسرائيلية بالثقافة الإسلامية بصورة أوسع وعلى نطاق أرحب.

والتفسير والحديث كلاهما تأثرا إلى حد كبير بثقافات أهل الكتاب على ما فيها من أباطيل وأكاذيب وكان للإسرائيليات فيها أثر سيء حيث تقبلها

---

(1) ويقال له أيضا ابن صوري، ويرى بعض المؤرخين أنه أسلم ثم ارتد إلى يهوديته، انظر: سيرة ابن هشام جـ 2/ ص: 104.

العامة بشغف ظاهر وتناقلها بعض الخاصة في تساهل يصل أحيانا إلى حد التسليم بها على ما فيها من سخف بين وكذب صريح[1].

ومن الثابت الواضح لكل من له معرفة بنشأة العلوم وتطوّرها يدرك بأن التفسير وكذلك الحديث مرّا بمرحلتين متميزتين:

أولاهما: مرحلة الرواية.

و ثانيهما: مرحلة التدوين.

1 ــ أما مرحلة الرواية: فقد كان رسول الله ﷺ يجلس إلى أصحابه يحدثهم بما يهمه، ويهمهم من شؤون دينهم ودنياهم، وكان حديثه يتناول بعض تفسيرات، لما خفي على صحابته من كتاب الله ﷻ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يَعُونَ ذلك عنه ويحفظونه، ثم يبلغونه لبعض إخوانهم الذين غابوا عن مجلس رسول الله ﷺ ، ولمن تتلمذ عليهم من التابعين. وكان التابعون يروي بعضهم لبعض ما تحملوه عن الصحابة، كما يروونه لمن تتلمذ عليهم من تابعيهم.

ولم يكن كل ما يرويه التابعون، وتابعوهم مقصورا على ما هو مرفوع إلى رسول الله ﷺ بل كان في ضمن ما يروونه موقوفات على الصحابة أو التابعين، بعضها يرجع إلى التفسير، وبعضها يرجع إلى غيره من الأمور الدينية.

---

(1) انظر: الحديث والمحدثون محمد أبو زهرة، ص 186 ــ 187، السنة ومكانتها د/السباعي ص 49 ــ 50، التفسير والمفسرون د/الذهبي (1/176 ــ 177)، الإتقان للسيوطي (2/176، 189).

غير أن الرواية للمأثور من التفسير والحديث لم تكن في أدوارها المختلفة تمشي على نمط واحد، من الضبط والتثبت: ففي عصر الصحابة كانوا يتحرون الصحة فيما يتحملون ويروون، وكانوا لثقتهم وقوة ضبطهم، وما طبعوا عليه من العدالة والأمانة، لا يترددون في الأعم الأغلب، في قبول ما يروى لهم من حديث رسول اللهﷺ وما كان يتشدد بعضهم في الرواية وعدم قبوله للمروي إلا إذا ثبت صحته لديه بالشهادة أو اليمين، لم يكن لعدم ثقته بالراوي، وإنما كان لمجرّد التأكد وقوة التثبت من المروي[1].

وفي عصر التابعين كثر الوضع[2] وفشا الكذب، على رسول اللهﷺ فكانوا لا يقبلون حديثا إلا إذا كان مسندا، وثبت لديهم عدالة رواته، وقوة ضبطهم.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن سيرين أنه قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم [3].

---

(1) من هذا القبيل ما رواه الحافظ الذهبي من أن عمر بن الخطاب t قال لأبي بن كعب ــ وقد روى له حديثا ــ لتأتيني على ما تقول ببينة، فخرج فإذا ناس من الأنصار فذكر لهم، قالوا: قد سمعنا هذا من رسول اللّه ﷺ فقال عمر: أما أني لم أتهمك ولكني أحببت أن أتثبت ــ الحديث والمحدثون، ص 70 ط مصر.

(2) كان مبدأ ظهور الوضع في الحديث سنة 41هـ حين وقعت الفتنة بين المسلمين وانقسم الناس إلى شيعة وخوارج وجمهور أهل السنة. ولكن فشو الوضع وتفاقم خطره كان في عصر التابعين. انظر: فجر الإسلام ــ احمد أمين ص 211، نشأة الفقه الاجتهادي ــ السايس ص 52، تاريخ المذاهب الإسلامية ــ أبو زهرة (31/2 ــ 32).

(3) صحيح مسلم: ج 1، ص: 112.

ونلاحظ أنه في عصر تابع التابعين ازداد خطر الوضع حيث تفشى بصورة مزعجة وتطرق الكثير من الموضوعات إلى التفسير والحديث إلى أن بعث الله من تصدى لهذه المفتريات من العلماء والمحدثين فوضعوا لرواية الحديث ورواته قواعد وضوابط محرَّرة.

2 ــ وأما مرحلة التدوين: فقد بدأت في نهاية القرن الأول وبداية الثاني.

و كان ابتداء التدوين للتفسير والحديث في وقت واحد، وذلك أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما وجه إلى علماء الآفاق أمرهم بجمع ما صح لديهم من حديث رسول الله ﷺ وفي ضمنه ما أثِر عنه في التفسير وبعض ما هو موقوف على الصحابة أو التابعين وكانوا يدونون ما يجمعون ويجعلونه أبوابا متنوعة وكان التفسير بابا من هذه الأبواب ومعنى هذا: أن جمعهم وتدوينهم للتفسير المأثور، كان في الحقيقة جمعا لباب من أبواب الحديث، و لم يكن جمعا ولا تدوينا للتفسير على أنه علم مستقل[1].

ثم كانت خطوة أخرى انفصل فيها التفسير عن الحديث، ودون كل منهما على حدة، وكانت طريقة تدوين التفسير والحديث في هذه الفترة أن تُذكر الروايات مقرونة بأسانيدها، ثم وجد من المفسرين، والمحدثين، بعد ذلك من اقتصر في تدوين ما يروى في التفسير والحديث، على ما روي مجرّدًا

---

(1) مناهل العرفان للزرقاني (490/1)، التفسير والمفسرون د/الذهبي (130/1 ــ 131)، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ــ محمد الصباغ ص 140، ضحى الإسلام (138/2).

على السند وكان هذا العمل في مرحلة التدوين ــ كما كان في مرحلة الرواية ــ "طامة كبرى"، ذلك لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر في هذه الكتب يظن صحة كل ما جاء فيها ثقة منه بأصحابها، وجعل بعض من كتبوا بعد في التفسير ينقلون عنها ما حوت من أباطيل وأكاذيب، معتقدين صحتها وصدقها.

هذا، وقد عرض العلامة ابن خلدون في "مقدمته" [1] لمبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير وتطوره، وبين الأسباب التي دعت إلى الإكثار من ذكرها، حيث أرجع الأمر إلى اعتبارات اجتماعية وأخرى دينية، فعدّ من الاعتبارات الاجتماعية ،غلبة البداوة والأمية على العرب. وتشوقهم لمعرفة ما تتشوق إليه النفوس البشرية من أسباب المكونات، وبدأ الخليقة، وأسرار الوجود، وهم إنما يسألون في ذلك أهل الكتاب قبلهم.

وعدّ من الاعتبارات الدينية التي سوّغت لهم تلقي المرويات في تساهل وعدم تحر للصحة: أن مثل هذه المنقولات ليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل. وسواء أكانت هذه هي كل الأسباب أم كانت هناك أسباب أخرى. فإن كثيرا من كتب التفسير، قد اتسع لما قيل من ذلك وأكثر حتى أصبح ما فيها مزيجا متنوعا من مخلفات الأديان المختلفة والمذاهب المتباينة [2].

(1) مقدمة ابن خلدون: ص 490 ــ 491.

(2) انظر التفسير: معالم حياته ومنهجه اليوم، أ ــ أمين الخولي، ص 110 ــ 111.

آثار الإسرائيليات في التفسير وقيمة ما يروي منها[1]

لاشك أن لرواية الإسرائيليات أثرا سيئا على الإسلام، وعقائد المسلمين ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم، إن صدقا وإن كذبا بل ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالي المخترع، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئا مما جاء فيها، لاعتقاده أن الكل من واد واحد. وفي الحق أن المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رَووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التي لا يكاد يصح شيء منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة[2].

و من المؤسف جدًا أن الإسرائيليات[3] بما حوته من أباطيل وخرافات نسب الكثير منها إلى رسول الله ﷺ وإلى صحابته رضوان الله عليهم، واتخذها

---

(1) التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبي (1 178).

(2) مناهل العرفان للزرقاني (199/1)، الإسرائيليات في كتب التفسير محمد عزة دروزة ــ مجلة الوعي الإسلامي ــ الكويت ــ السنة الثالثة ــ العدد التاسع عشر ــ رجب 1386هـ، الفوز الكبير في أصول التفسير للدهلوي ص 35.

(3) انظر لمحات من علوم القرآن واتجاهات التفسير للأستاذ نحمد الصباغ ص 181، وكذا أصول التفسير وقواعده للشيخ خالد عبد الرحمن العك ص 261 ــ 263.

بعض المشتغلين بالتفسير مادة يشرحون بها بعض نصوص القرآن الكريم، تشكل في صورتها خطرًا بالغا ومستطيرا، وذلك لإفضائها إلى النتائج التالية:

1 ــ إنها تفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوي عليه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه، ووصفه بما لا يليق بجلاله وكما له، وربما فيها من نفي العصمة عن الأنبياء والمرسلين، وتصويرهم في صورة من استبدت بهم شهواتهم، ودفعتهم ملذاتهم ونزواتهم إلى قبائح وفضائح لا تليق بإنسان عادي فضلا عن أن يكون نبيا[1].

2 ــ إن الإسرائيليات كادت تصرف الناس عن الفرض الذي أنزل القرآن من أجله وتلهيهم عن التدبر في آياته والانتفاع بعبره وعظاته، والبحث عن أحكامه وحكمه إلى صغائر لا وزن لها وتفاصيل لا يعدو أن يكون الاشتغال بها والبحث عنها عبثا محضا ومضيعة للوقت فيها، لا فائدة من معرفته ومن أمثلة ذلك: الكلام عن لون كلب الكهف واسمه، وعن عصا موسى من أي الشجر كانت وعن اسم الغلام الذي قتله الخضر وعن طول سفينة نوح وعرضها وارتفاعها.

وأسماء الحيوانات التي حملت فيها... وغير ذلك مما طواه القرآن عنه لعدم فائدة تعود على المسلمين من ذكره لهم ومعرفتهم به. ألحقت هذه الإسرائيليات بالتفسير لآي الكتاب الكريم اضطرابا، حيث أنها كادت تذهب بالثقة لبعض

---

(1) راجع: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص 99، ضحى الإسلام ــ أحمد أمين (334/1)، التفسير ــ معالم حياته ومنهجه اليوم ــ أمين الخولي ص 28، مناهج التفسير لأبي زهرة ص 502 ــ مقال في مجلة لواء الإسلام ــ العدد الثامن ــ السنة الخامسة ــ ربيع الثاني ــ سنة 1952م.

علماء السلف من الصحابة والتابعين فاهموا من أجل نسبة هذه الإسرائيليات إليهم بأبشع الاتهامات وعدّهم بعض المستشرقين، ومن مشى في ركابهم من المسلمين مدسوسين على الإسلام وأهله، ومن أكثر هؤلاء السلف نيلا منه وتحاملا عليه: أبو هريرة، وعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبّه ممن لهم في الإسلام قدم راسخة.

قيمة ما يروى من الإسرائيليات

تنقسم الإسرائيليات إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة

1 ــ باعتبار السند

أ ــ صحيح من ناحية سنده ومتنه ؛ ومثاله: ما رواه البخاري في صحيحه قال: حدثنا عبد الله بن سلمة حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ (1) قال: في التوراة: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا» (2).

---

(1) الأحزاب: 45.

(2) صحيح البخاري كتاب التفسير (ج 6/ص: 169 ــ 170). وانظر تفسير ابن كثير، ج2/ص: 253 وقد ذكر نحو هذا عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار. انظر: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج 1/ ص 19.

ب ــ ضعيف من ناحية سنده أو متنه

فمثال الأول: ما رواه ابن جرير في تفسيره قال: «حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج بن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي قال: في كتاب الله الملائكة حملة العرش لكل ملك منهم وجه إنسان وثور وأسد فإذا حركوا أجنحتهم فهو البرق»[1].

وشعيب الجبائي: يماني يروي من أسَاطير أهل الكتاب.

قال صاحب لسان الميزان في ترجمته: " أخباري متروك" ثم ذكر شيئا مما لا يقبله العقل من كلامه [2].

ومثال الثاني: ــ ما ذكره ابن كثير عن ابن جرير قال: حدثنا المثنى حدثنا الحجاج أخبرنا حماد عن خالد الحذاء عن عمير بن سعد، قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: «كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس...».

وعلق ابن كثير بقوله: وهذا الإسناد رجاله ثقات وهو غريب جدًّا [3].

وقد نقد متن الحديث الإمام فخر الدين الرازي بقوله: «واعلم أن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة...» [4]. ثم بين أوجه فسادها من ناحية متنها.

وقال الشيخ أحمد شاكر: (مخالفته) ــ أي الحديث ــ واضحة للعقل لا من جهة عصمة الملائكة القطعية بل من ناحية أن الكوكب الذي نراه صغيرًا في

---

(1) تفسير القرطبي ج 1/ ص 344.

(2) لسان الميزان لابن حجر ج 1 / ص 150.

(3) تفسير ابن كثير، ج 1/ ص 136.

(4) تفسير الرازي ج 3/ ص 219 ــ 220.

عين الناظر قد يكون حجمه أضعاف حجم الكرة الأرضية بالآلاف المؤلفة من الضعاف فأنى يكون جسم المرأة الصغير[1] إلى هذه الأجرام الفلكية الهائلة [2].

جـ ـ موضوع: وهو ما كان مختلقا مصنوعا ومثاله: ما رواه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن بني إسرائيل لما اعتدوا وعلوا وقتلوا الأنبياء بعث الله ملك فارس بختنصر وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وفتحها وقتل على دم زكريا سبعين ألفا ثم سبى أهلها... وسلب حلي بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفا ومائة ألف عَجَلة من حلي حتى أورده بابل. قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله ؟ قال: أجل بناه سليمان بن داود من ذهب ودر وياقوت وزَبَرْجَدٍ وكان بلاطه، بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة وعمده ذهبا... إلخ»** [3].

وقد علق الحافظ ابن كثير على هذا بقوله: «وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثًا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته وهو حديث موضوع مكذوب وكتب ذلك على حاشية الكتاب».

---

(1) تذكر الرواية الموقوفة على علي كرم الله وجهه والتي ذكرها ابن كثير: أن المرأة قد ارتفعت إلى السماء ومسخت كوكبا وهو كوكب الزهرة.

(2) عمدة التفسير اختصار وتحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ج 1/ ص 196 ــ 197.

(3) تفسير القرطبي ص 15، (17): ابن كثير ج 3 / ص: 25.

2 ــ تنقسم الإسرائيليات أيضا باعتبارموافقتها لما في شريعتنا ومخالفتها له

إلى ثلاثة أقسام:

1 ــ موافق لما في شريعتنا.

2 ــ مخالف له.

3 ــ مسكوت عنه ليس في شريعتنا ما يؤيده ولا ما يفنده.

1 ــ فمثال الأول: وهو ما جاء موافقا لما في شريعتنا ــ ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري قال: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلا لأهل الجنة. فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة ــ كما قال النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ إلينا ــ ثم ضحك حتى بدت نواجده...**»[1].

2 ــ ومثال الثاني[2]: وهو ما جاء مخالفا لما في شريعتنا قصة سفر الخروج من أن هارون عليه السلام

---

(1) صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض ج 8 / ص108.

(2)انظر: مقدمة التفسير لابن تيمية ص 100، التفسير والمفسرون د/الذهبي (179/1)، الإسرائيليات وأثرها في التفسير والحديث د/رمزي نعناعة ص 85.

هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل ودعاهم إلى عبادته وأن الله تعالى فرغ في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع. وما رواه ابن جرير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾ (1): من قصة صخر المارد الذي قعد على عرش سليمان عليه السلام وسلط على ملكه حتى لا يراه الناس إلا سليمان عليه السلام وأن هذا الشيطان كما في رواية ابن جرير عن أبي حاتم سلّط على نساء سليمان فكان يباشرهن وهنَّ حُيّض، وكن ينكرن ذلك عليه معتقدات أنه سليمان عليه السلام (2).

3 ــ ومثال الثالث: وهو ما سكت عنه شرعنا وليس فيه ما يؤيده أو يفنده.

مثاله: ما جاء في تفسير مقاتل لقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يُحيي ويميت قال أنا أحي وأميت. قال إبراهيم فإن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (3).

---

(1) سورة ص: 34.

(2) الدر المنثور، وقد نبه الحافظ ابن الجوزي ووافقه السيوطي على وضع هذه القصة، والصحيح المتعين في تفسير الفتنة هو ما جاء في الصحيحين. ولفظ البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله، ولم يستثن، ولو استثنى لكان، فطاف على سبعين امرأة فلم تحمل امرأة إلا امرأة واحدة حملت بشق إنسان. انظر الدر المنثور للسيوطي (311/5). والقصة عند البخاري في باب الجهاد (22/3).

وانظر: التفسير والمفسرون ــ د/الذهبي (181/1)، الإسرائيليات في التفسير والحديث د/الذهبي ص 20.

(3) البقرة: 258.

بعث نمرود الجبار فلم يدر ما يرد على إبراهيم ثم إن الله ﷻ سلط عليه بعوضة بعد ما أنجى الله إبراهيم من النار فعضت شفته فأهوى إليها فطارت في منخره فذهب ليأخذها ويستخرجها فدخلت في خياشيمه، فذهب ليستخرجها فدخلت دماغه فعذبه الله بها أربعين يوما ثم مات منها وكان يضرب رأسه بالمطرقة فإذا ضرب سكتت البعوضة وإذا رفع عنها تحركت فقال الله سبحانه: «وعزتي وجلالي لا تقوم الساعة حتى آتي بها ــ يعني الشمس ــ (من قبل المغرب) فيعلم من يرى ذلك أني أنا الله قادر على أن أفعل ما شئت» (1).

3 ــ وتنقسم الإسرائيليات باعتبار موضوع الخبر إلى أقسام ثلاثة:

1 ــ ما يتعلق بالعقائد.

2 ــ ما يتعلق بالأحكام.

3 ــ ما يتعلق بالمواعظ أو الحوادث التي لا تمت إلى العقائد والأحكام بصلة.

1 ــ فمثال الأول

وهو ما يتعلق بالعقائد- ما رواه البخاري في كتاب التفسير في بيان: قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (2). ونصه: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلائق على إصبع فيقول: أنا الملك، «**فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ**

---

(1) تفسير مقاتل: ج 1 ص 123 ــ 124.

(2) سورة الزمر: 67.

رسول الله ﷺ: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾[1][2].

2 ــ ومثال الثاني:

وهو ما يتعلق بالأحكام ــ ما رواه البخاري في كتاب التفسير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ برجل وامرأة قد زنيا، فقال لهم: **«كيف تفعلون بمن زنى منكم»** ؟ قالوا: نحممهما ونضربهما، فقال: **«لا تجدون في التوراة الرجم»**؟.

فقالوا لا نجد فيها شيئا، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدارسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ مادون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم، فترع يده عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا هي آية الرجم فأمر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يجنأ[3] عليها يقيها الحجارة.

---

(1) سورة الزمر: 67.

(2) رواه البخاري في صحيحه ــ كتاب التفسير (46/6 ــ 47).

وانظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث (171/10)، حيث قال: «والأولى في هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه».

(3) يجنأ: معناه يميل عليها وجاء في بعض الروايات يحنأ ــ بالحاء المهملة ــ والمعنى واحد فهو يميل وينحني عليها ليقيها الحجارة.

والحديث رواه البخاري في كتاب التفسير (46/6 ــ 47).

3 ــ **ومثال الثالث:**

وهو ما يتعلق بالمواعظ أو الحوادث مما ليس له صلة بالقسمين السابقين: ما ذكره الحافظ ابن كثير عن قصة جريج العابد فقال: «**إن جريجا اتهمته امرأة بغي بنفسها، وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولي الأمر، فأمر فأُنزل من صومعته، وخربت صومعته وهو يقول: ما لكم ! ما لكم !قالوا**» يا عدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا، فقال جريج: اصبروا، ثم أخذ ابنها وهو صغير جدا، ثم قال: يا غلام من أبوك؟ قال: أبي الراعي ــ وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ــ ولما رأى بني إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغا وقالوا: نعيد صومعتك من ذهب، قال: لا بل أعيدوها من طين كما كانت[1].

وهذا ومما هو ملاحظ أن هذه التقسيمات الثلاثة إنما هي بالاعتبارات المذكورة وواضح كل الوضوح أنها متداخلة ويمكن إرجاع بعضها إلى بعض كما يمكن أن ندخلها تحت الأقسام الثلاثة.

1 ــ مقبول.

2 ــ مردود.

3 ــ متوقف فيه.

(1) تفسير ابن كثير (4/ 341)الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي ــ نسخة مقدمة لمجمع البحوث الإسلامية ص 13، التفسير والمفسرون د/الذهبي (1/165)، التفسير في الكتب المقدسة ــ د/السيد أحمد خليل ص 37، الإسرائيليات في كتب التفسير ــ محمد عزة دروزة ــ مجلة الوعي الإسلامي ــ سنة 1386.

حكم رواية الإسرائيليات

يقول ابن تيمية في مقدمته [1]، بعد أن ذكر أن عبد الله بن عمرو بن العاص أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدّث منهما بما فهمه من حديث «**بلّغوا عني ولو آية وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» [2]. من الإذن في روايتها يقول بعد ذلك ما نصه: «ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

الثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم ــ يعني «**حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، وغالب ذلك ما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب أهل الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أي الشجر كانت وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم وتعيين البعض الذي ضرب به المقتول من البقرة ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة من تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم[3].

---

(1) مقدمة في أصول التفسير ص 26 ــ 28، التفسير والمفسرون د/الذهبي (187/1 فما بعدها).

(2) ورد الحديث في البخاري ــ كتاب العلم ــ باب إثم من كذب على النبيﷺ . وكذا في كتاب الأنبياء والأدب (120/8). كما ورد في فتح الباري ــ كتاب أحاديث الأنبياء (388/6).

(3) انظر: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم ــ د/الذهبي ص 94 ــ 96، القول المبين في تفسير المؤمنين ــ محمد علي موزة ص 11.

و قد وردت في القرآن الكريم الآيات الدالة على أن اليهود والنصارى بدّلوا كتبهم وحرفوها وأخفوا الكثير منها مما أذهب الثقة فيها وفيما يحدثون به منها وكذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا»** (1).

ومعنى هذا عدم الثقة بما يحدث به أهل الكتاب عن التوراة وكذا غيرها من باب أولى وما لا يوثق به لا تجوز روايته.

كما ثبت أيضا جواز الرجوع إلى أهل الكتاب فقد أباح لنبيه أن يسأل أهل الكتاب فقال تعالى: ﴿**فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك**﴾ (2).

وقال سبحانه أيضا **مخاطبا نبيه** ﷺ ﴿**قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين**﴾ (3)، وهذا صريح في جواز الرجوع إلى التوراة والاحتكام إليها ومفادُ ذلك أنه يجوز أن يحدث عنهم بما نقطع بصدقه ومن أجل أن نأخذ منه العظة

---

(1) أورده البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ:**«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا**: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم﴾ »الآية. انظر: فتح الباري لابن حجر (335/13) ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب قول النبي ﷺ :**«لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء »**

(2) يونس: 94.

(3) آل عمران: 93

والعبرة. وعليه فما جاء موافقا لما في شرعنا جازت روايته وعليه تحمل الآيات الدالة على إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب كما يحمل قوله عليه الصلاة والسلام: **«حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»** [1] إذ المعنى: **«حدّثوا عنهم بما تعلمون صدقه »**[2].

وأما ما جاء مخالفا في شرعنا أو كان لا يصدقه العقل، فلا يجوز روايته لأن إباحة الله الرجوع إلى أهل الكتاب وإباحة الرسول للحديث عنهم لا تتناول ما كان كذبا إذ لا يعقل أن يبيح الله ولا رسوله المكذوب أبدا وأما ما سكت عنه شرعا و لم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه وكان محتملا، فحكمه أن نتوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه، وعلى هذا يحمل قول النبي ﷺ **«لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم»**[3]، أما روايته فجائزة على أنها مجرد حكاية لما عندهم لأنها تدخل في عموم الإباحة المفهومة من قوله ﷺ : **«حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»** [4].

ثم إذا جاء شيء من هذا القسم الثالث ــ وهو ما سكت عنه شرعنا و لم يكن فيه ما يؤيده ولا ما يفنده ــ عن أحد الصحابة غير من

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ــ باب ما ذكر عن بني إسرائيل. انظر فتح الباري (496/6).

(2) مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص 14 ــ 26 + 27. وكذا التفسير والمفسرون د/محمد حسين الذهبي جـ 1 ص 179.

(3) رواه البخاري في صحيحه (196/9) ــ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ــ باب قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء.

(4) مقالات الكوثري ص 34، والحديث سبق تخريجه.

أسلم من أهل الكتاب وغير من اشتهروا بالأخذ عنه، وكان ذلك بطريق صحيح، فإن كان قد جزم به فهو كالقسم الأول يقبل ولا يرد، لأنه لا يعقل أن يكون قد أخذه عن أهل الكتاب ثم يجزم بصدقه بعدما علم من نهي رسول الله ﷺ عن تصديقهم في مثل ذلك بقوله: «**لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم**»[1]. وإن كان لم يجزم به فالنفس أسكن إلى قبوله لأن احتمال أن يكون الصحابي الذي لم يشتهر بالأخذ عن أهل الكتاب ولا سيما بعدما تقرر من أن أخذ الصحابة عن أهل الكتاب كان قليلا بالنسبة لغيرهم من التابعين ومن يليهم.

وأما إنكار الرسول ﷺ وإنكار الصحابة من كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب، فقد كان في مبدأ الإسلام وقبل استقرار الأحكام، مخافة التشويش على عقائدهم وأفكارهم.

قال الحافظ ابن حجر: «وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحظور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار» [2].

أقول: مادام المنع من الأخذ عن أهل الكتاب ــ أول الأمر ــ كان علته خوف الفتنة والعلة كما هو مقرر شرعا ــ تدور مع المعلول وجوداً وعدمًا فلا يجوز لمن يخشى عليه غائلة الإسرائيليات اليوم أن يأخذ من مصادر كتابية أو

---

(1) صحيح البخاري (نسخة على هامش فتح الباري): كتاب أحاديث الأنبياء ــ باب ما ذكر عن بني إسرائيل (319/6 ــ 320)، وانظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (51/2)، مقدمة ابن خلدون ص 384.

(2) فتح الباري ــ كتاب أحاديث الأنبياء (388/6).

يروى عنها أما من كان له في العلم قدم راسخة وبصيرة نيرة يستشف بها الحق من الباطل ويميز بها الخبيث من الطيب، فلا عليه أن يأخذ منها أو يرّوي عنها في حدود المنهج الشرعي الذي ذكرناه، كما كان يفعل من يرجع إلى أهل الكتاب من الصحابة.

موقف المسلمين إزاء هذه الإسرائيليات

أ ــ علمنا أن كثرة النقل عن أهل الكتاب بدون تفرقة بين الصحيح والعليل دسيسة دخلت في ديننا واستفحل خطرها وقد نحا هذا النحو عدد من المفسرين زادوا في قصص القرآن ما شاؤوا من كتب التاريخ والإسرائيليات وليتهم اقتصروا على النقل من التوراة والإنجيل المعتمدة لدى أهل الكتاب، ولكنهم أخذوا جميع ما سمعوه عنهم من غير تفريق بين غث وسمين ولا تمييز بين حق وباطل ولقد ظلت هذه الأكاذيب في كتبنا يتشبث بها الكائدون للإسلام والمسلمين.

ب ــ كما علمنا أن قوله ﷺ: **«لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم»** (1).

قاعدة تقضي بتصديق ما صدقه الشرع الإسلامي وتكذيب ما كذبه والتوقف فيما سوى ذلك، وهذه القاعدة ينبغي على المفسر أن يتقيد بها ولا يجوز أن يعدل عنها بأي حال من الأحوال.

جـ ــ وبعد هذا وذاك نقول: إنه يجب على المفسر أن يكون يقظا إلى أبعد حدود اليقظة ناقدا إلى نهاية ما يصل إليه النقاد من دقة ورواية حتى يستطيع

---

(1) صحيح البخاري ج 9 ص 280: كتاب التوحيد ــ باب ما يجوز تفسيره من التوراة وغيرها.

أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن ويتفق مع العقل والنقل.

قال ابن العربي منفرا من الإسرائيليات: «فأعرض عن سطورها بصرك واصمم عن سماعها أذنيك فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالا ولا تزيد فؤادك إلا خبالا»(1).

وقال ابن كثير: «وفي القرآن غنية عن كل ماعداه من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء...» (2).

وقال الشيخ محمود شلتوت رحمه الله: «وقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار التي ليس لها سند صحيح، وأغدقوا من شرها على الناس وعلى القرآن وكان جديرًا بهم أن يقيموا بينها وبين الناس سدًّا يقيهم البلبلة الفكرية فيما يتصل بالغيب الذي استأثر الله بعلمه و لم ير فائدة لعباده في أن يطلعهم على شيء منه، وإذا كان للناس بطبيعتهم ولع بسماع الغرائب وقراءتها فما أشد أثرها في إلهائهم عن التفكير النافع فيما تضمنه القرآن من آيات العقائد

---

(1) أحكام القرآن لابن العربي (131/1، 175)، وانظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (114/2)، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة د/محمد سيد طنطاوي ص 18.

(2) عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير تحقيق أحمد شاكر ج1/ ص15 ــ 16.

والأخلاق وصالح الأعمال» [1].

ويجب على المفسر أيضا أن ينهج منهجا معتدلا ليس فيه إفراط أو تفريط في موقفه من القصص القرآني وذلك بالوقوف عندما ورد في القرآن الكريم مع الاحتفاظ بدلالة الألفاظ اللغوية على معانيها وإفادتها لواقع هي تعبير صحيح عنه، دون تزيّد عليه بما لم يرد فيه اعتمادا على روايات لا سند لها كما صنع المفرطون. ودون تحيف لمعانيها باعتبار أن الكلام تخييل لا يعبر عن واقع ودون صرف للألفاظ عن معانيها الوضعية إلى معان أخرى من غير صارف يمنع إيحاء الكلام على ظاهره كما فعل أهل التأويل، الذين حرفوا كثيرًا من القرآن عن مواضعه وتنكبوا قانون العربية التي نزل بها[2]

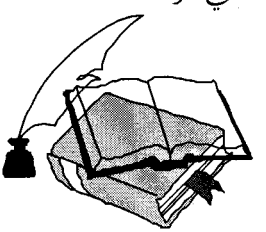

(1) الفتاوى للشيخ محمود شلتوت، ص: 56.

(2) وكثيرا ما يقصده بعض الباحثين دفعا لما يثيره خصوم القرآن على القرآن ويدخل في هذا القسم تأويل إحياء الموتى المنسوب لعيسى عليه السلام بالإحياء الروحي وحمل النمل في قصة سليمان على أنه قبيلة، وتأويل الكواكب في قصة إبراهيم بأنها جواهر نورانية نورها عقلي لا حسي، وما نقله بعض الصوفية بأن المائدة التي أنزلها الله عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن... إلخ انظر تفسير القرآن الكريم للشيخ: محمود شلتوت ص 45 وما بعدها.

التفسير الموضوعي

1 ــ تعريفه

ــ التفسير الموضوعي هو جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية أو موضوع واحد وتفسيرها مجتمعة واستنباط الحكم المشترك منها ومقاصد القرآن فيها. وقيل: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر (1).

وظهر التفسير الموضوعي عند القدماء في وقت مبكر فقد نشأ في عهد النبوة ولا يزال إلى يومنا هذا، إلا أن مصطلح "التفسير الموضوعي" وإطلاقه على هذا الأسلوب من التفسير لم يظهر إلا في القرن الرابع عشر حيث ظهرت بوادر الاهتمام بهذا الموضوع وأيضا في مطلع هذا القرن. ولعل ذلك يعود أن استيعاب تفسير القرآن أمر عسير على أهل العصر إذ يتطلب جهدا متواصلا وزمنا طويلا وتفرغا قد لا يتأتى للكثير نظرا لظروف الحياة والعيش في هذا الزمان. ومع هذا لم يمنع من ظهور علماء قاموا بتقديم أعمال مضيئة في التفسير الشامل والتفسير الموضوعي منهم: الشيخ محمود شلتوت الذي فسر الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم ثم أفرد آيات السلم بكتيب خاص.

---

(1) مباحث في التفسير الموضوعي: الدكتور ــ مصطفى مسلم، ص: 16. دراسات في التفسير الموضوعي د/أحمد جمال العمري ص 40، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ــ د/فهد بن عبد الرحمن الرومي ص 862.

ومنهم الأستاذ: محمد عزة دروزة في تفسير له "التفسير الحديث"، ثم أفرد الآيات القرآنية التي تتحدث عن سيرة النبيﷺ على ضوء النصوص القرآنية وغيرهما كثير كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

2 ــ أصول المنهج في التفسير الموضوعي

لا يسوغ لأحد أن يقول في القرآن قولا بغير علم، فلا يسوغ القول بالفقه والتفسير، إلا لمن هو أهل لذلك. إذ الفقه فهم لكتاب الله، والتفسير كذلك، بيان لكتاب الله، ولا يتأتى الحديث عن القرآن فقها أو تفسيرا، إلا لأهل الاجتهاد، والفقه، والتفسير. والقول في تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد، مثل القول في تفسير القرآن كله والقائل بهذا أو ذاك، لابد له من شروط يجب استيفاؤها كما هو مبين في كتب علوم القرآن أو في مقدمات كتب التفسير. ولابد من اتباع أصول ومناهج معينة منها[1]:

1 ــ أن يكون عالما بالقرآن الكريم. ولا ضرورة لأن يكون لكتاب الله حافظا بل يكفي الإحاطة، بسور القرآن، بوجه عام، وبآيات الأحكام بشكل خاص، إذ هي التي تتعلق بالموضوع المراد بحثه ولا يكفي العلم بالقرآن بل لابد من معرفة للسنة النبوية، وبيان العلاقة بينهما من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وإجمال وتفصيل وغير ذلك من الأبحاث التي استوفتها كتب الأصول[2].

إن العلم بالقرآن والسنة يعين الباحث في عملية جمع الآيات والأحاديث التي تتعلق بالموضوع المراد تفسيره.

---

(1) وقد فصل ابن تيمية في رسالته تفصيلا حسنا. انظر ص 38 من رسالة ابن تيمية.

(2) راجع لمحات في علوم القرآن ــ محمد الصباغ ص 139.

أما الجمع للآيات والأحاديث فيتم بإحدى الطريقتين

الأولى: استخراج مادة الكلمة من القرآن الكريم ولنفرض أن الموضوع المراد تفسيره هو الخمر. فإننا نبحث عن مادة الخمر في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، أو ما يماثله من المعاجم فنجد هذه الآيات: وهي أولا: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما﴾[1].

وآية: ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ [2].

وآية: ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا﴾ [3].

وآية: ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا﴾ [4].

بعد ذلك نتأمل في هذه الآيات في كتب التفسير، القديم منها والحديث، فنجد أن منها ما يكون محل استشهاد، وبحث، ومنها ما يجب استبعاده عن البحث. فخمر الدنيا يعتبر شربه رجسا في الدنيا وخمر الآخرة لذة للشاربين، ونحن إذ نتحدث عن خمرة الآخرة ونعيمها فهذه حالة نقبلها وتلك حالة أخرى نردها ولا يفوتنا ونحن نجمع الآيات أن نكون يقظين في جمع الآيات التي تتعلق

---

(1) البقرة: 219. وانظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ـ د/مصطفى السباعي ص 124.

(2) محمد: 15.

(3) يونس: 36. وانظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ـ تقديم الأستاذ د/منصور فهمي ـ مطابع الشعب، معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ تصدير محمد حسين هيكل ـ سنة 1950م.

(4) يوسف: 40.

بالموضوع المراد تفسيره ولكنها لم ترد فيها لفظة الخمر مثل آية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ (1).

فهذه الآيات وأمثالها ضرورية لاستكمال البحث في الموضوع وهي الأصعب في جمع الآيات لأن جمع الآيات من المعجم أمر ميسور فمجرد استخراج مادة الكلمة تجد جميع الآيات بين يديك ولكن جمع الآيات المتعلقة بالموضوع وليس بها مادة الكلمة يتطلب علما واسعا وحضور بديهة حين البحث عنها فبعض المفسرين مثلا حين أراد أن يتكلم عن موضوع الخمر بدأه مثلا بالآية الكريمة وهي: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾ (2).

أما الطريقة الثانية في الجمع فهي: ــ اللجوء إلى الكتب الموسوعية التي تعتني بجمع الآيات المتعلقة بالموضوع مثل: ــ معجم الألفاظ للقرآن الكريم لمجمع اللغة العربية، وهناك كتاب باللغة الإنجليزية وهو: "تفصيل آيات القرآن الكريم"(3) لـ "جول لابوم ويليه" وكتاب المستدرك للأستاذ "أدوار مونتيه" وقد عربه محمد عبد الباقي رحمه الله.

---

(1) النساء:43.

(2) النحل: 67.

(3) طبع الكتاب في دار الكتاب العربي، بيروت سنة 1969م. وانظر: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ــ محمد الصباغ ص 226، وكتاب "من التفسير الموضوعي" ــ د/إحمد إبراهيم ص 141، التفسير والمفسرون ــ د/الذهبي (1/148 ــ 151)، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم ــ د/محمد رجب البيوضي ص 12.

وهذه الطريقة تختصر على الباحث عملية الجمع إلى حد بعيد ولكنها غير وافية بالغرض تماما لأن بها إعوازا يحتاج إلى استكمال.

ثانيا: مراعاة أسباب النزول للآيات ومناسبتها

فبسبب النزول نستعين على توضيح الآيات لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب كما يقول ابن تيمية رحمه الله [1].

وعدم الاطلاع على السبب يوقع، المفسر في مواقع الزلل الذي لا يزول بحال من الأحوال إلا بمعرفة سبب النزول لها مثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾ [2]، فإنا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة لا سفرا ولا حضرا وهو خلاف الإجماع إذ لا يجوز للمسلم أن يصلي إلى أي جهة شاء بل لابد من استقبال القبلة مع وجود من يسأله. ولكن مدلول اللفظ القرآني، المجرد من سبب النزول يبيحه ولا يزيل هذا إلا المعرفة لسبب النزول بما رواه الإمام مسلم عن ابن عمر أنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه قال: وفيه نزلت ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [3]. وينبغي أن يكون المفسر على حذر، ويقظة، في التعامل مع أسباب النزول حين تتعدد الأسباب وتتعارض وحين يتعارض الصحيح مع الصحيح أو مع الضعيف وحين يكون

---

(1) مجموع الفتاوى. (3/13)، أسباب النزول للواحدي ص 42.

(2) سورة البقرة: 115. وراجع: صفوة التفاسير للصابوني (73/1)، الموافقات للشاطبي (201/2).

(3) سورة البقرة : 115.

مرجحا وهو بحث يستحق العناية ومازال فيه إعوازا كما قال الإمام السيوطي (1)

إن عدم الاطلاع على سبب النزول يوقع العالم ــ وإن سما علمه في الارتباك في الفهم بل لقد وقع إشكال لأحد الصحابة رضي الله عنهم لعدم معرفته لسبب نزول الآية. روى مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قال: قلت لها إني لأظن رجلا لو لم يطف بين الصفا والمروة ما ضره. قالت: و لم ؟ قلت: لأن الله تعالى يقول: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ (2).

فقالت: ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته، لم يطف بين الصفا والمروة ولو كان كما تقول لكان ﴿فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما﴾ وهل تدري فيما كان ذلك ؟ إنما كان ذلك لأن الأنصار كانوا يهلون في الجاهلية لصنمين، على شط البحر يقال لهما: إساف ونائلة ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يحلقون.

فلما جاء الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما للذي كانوا يصنعون في الجاهلية، قالت: فأنزل الله ﷻ: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ إلى آخر الآية قالت: فطافوا (3).

---

(1) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (38/1 وما بعدها)، أسباب النزول للواحدي ص 4، طبقات المفسرين للسيوطي، ومعجم المفسرين (352/2).

(2) البقرة: 158.

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (928/2) ــ كتاب الحج ــ باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به، عن عائشة.

وأخرجه ابن ماجه في سننه (994/2 ــ 995) ــ كتاب المناسك ــ باب السعي بين الصفا والمروة عن عائشة. وراجع: أسباب النزول للسيوطي ص 26.

أما مراعاة المناسبة فالبعض يخلط بين سبب النزول ومناسبته. وبينهما فرق ولاشك أن السبب هو الذي من أجله نزلت الآية أو السورة أما المناسبة فليست كذلك إنما تهتم بوجه الربط بين بداية آية ونهايتها، وبين آية وآية، ونهاية سورة ببداية أخرى، وغير ذلك من الأبحاث، التي اعتنى بها بعض المفسرين مثل الإمام الكواشي في كتابه "التوجيه الجميل لأسرار التنزيل" (1). ومن يقرؤه يجده اسما على مسمى إذ به دقة في الربط وشرح للمناسبة بتوجيه جميل كما قال.

وأكتفي بمثال ذكره الزركشي، والكواشي ليظهر لنا أهمية الحديث عن المناسبة من الآيات. فقد ساق الآية القرآنية: ﴿**يسألونك عن الأهلة قل: هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ (2).

فمن يقرأ هذه يتساءل أي ربط بين أحكام الأهلة وبين إتيان البيوت ؟ يقول الزركشي: «هذا من قبيل التمثيل لما هم عليه من تعكيسهم في سؤالهم وإن مثلهم كمثل من يترك بابا ويدخل من ظهر البيت فقيل لهم: ليس البر ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة ولكن البر من اتقى ذلك» (3).

---

(1) الوراثة: 35 بتحقيق: مصطفى يعقوب. وانظر: أسباب النزول للواحدي ـــ دراسة وتحقيق الدكتور السيد الجميلي ص 47.

(2) البقرة: 189.

(3) البرهان في علوم القرآن. (41/1)، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (195/1 ـــ 196).

ثالثا: معرفة تاريخ أو زمن نزول الآيات، لأن إهمال التاريخ أحيانا يلبّس علينا الموضوع فنقع في خلط واضطراب في القول، بل نقع في الحرام الذي لاشك فيه، فماذا لو أهملنا التسلسل التاريخي لنزول آيات الخمر مثلا فلو قلنا إن الآية القرآنية ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾(1).

نزلت أولا ثم الآية التالية نزلت ثانيا: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ لو قلنا ذلك لخرجنا بالقول التالي: إن الخمر كانت حراما ثم أصبحت مباحة في غير أوقات الصلاة وهذا الحكم باطل لاشك ولا يعصمنا من الوقوع فيه إلا معرفة زمن النزول وترتيب النازل ترتيبا تاريخيا.

وفي ذلك روى الطيالسي في مسنده عن ابن عمر قال: نزل في الخمر ثلاث آيات فأول شيء ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾ (2). هذه الآية لم تحرم الخمر، ثم قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ قالوا يا رسول الله لا نشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم ثم نزلت ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من

---

(1) المائدة: 90. راجع تفسير الطبري (566/10)، الناسخ والمنسوخ للنحاس ص 39.

(2) البقرة: 219.

وانظر: السنن الكبرى للبيهقي (285/8)، الحاكم للمستدرك (141/4)، زاد المسير لابن الجوزي (417/2).

عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ [1]، فقال رسول الله ﷺ: «حرمت الخمر» [2]، إذن فعرفة تاريخ النزول طريق العصمة في الفهم السليم.

ومن أهم الكتب التي يمكن الرجوع إليها كتاب لا غنى عنه بل هو من أوثق الكتب في هذه القضية بالذات وهو كتاب: "التفسير الحديث" للمرحوم: محمد عزة دروزة النابلسي يقع في أثني عشر مجلدا. لأن تفسيره هذا هو التفسير الوحيد الذي رتب على أساس تاريخ النزول فهو ترتيب تفسيري وليس ترتيبا قرآنيا فأول القرآن نزولا سورة العلق وليست في أول القرآن وآخر الآيات نزولا قد ذكرت في سورة البقرة وهي في أول القرآن ذكرًا.

رابعا: محاولة التوفيق بين الآيات الواردة في الموضوع والتي تبدو، لأول وهلة بأنها متعارضة، ولقد وضع العلماء [3] قواعد كثيرة في التعامل بين هذه النصوص فوضعوا قواعد لمحاولة التوفيق بين هذه الأدلة من ذاك أن نلجأ أولا: إلى إعمال النصوص كلها، فقالوا إن إعمال الأدلة خير من إهمالها من جميع

---

(1) المائدة: 90.

(2) رواه البخاري (30/10) في الأشربة ــ باب نزول تحريم الخمر، وباب من رأى أن يخلط البسر تمرا، وباب خدمة الصغار والكبار، وفي تفسير سورة المائدة، باب قوله تعالى: إنما الخمر والميسر

ومسلم رقم 1980 في الأشربة ــ باب تحريم الخمر.

والإمام مالك في الموطأ (846/2 في الأشربة ــ باب جامع تحريم الخمر.

وأبو داود رقم 3673 في الأشربة ــ باب تحريم الخمر.

(3) كتب الأصول مثل كتاب الأحكام في أصول الأحكام للآمدي. وكتاب المحصول في علم الأصول للرازي.

الوجوه فإذا تعذر ذلك حاولنا الترجيح بين الأدلة والذي له أيضا قواعده وقد يختلف ذلك بين مجتهد ومجتهد، وأخيرًا إذا تساوت الأدلة في القوة وتعارضت من كل وجه فإن آخر العلاج الكي، فلابد من إسقاط أحدهما بالنسخ كما سنبينه لاحقا إن شاء الله. نمثل على محاولة التوفيق بين النصوص في الآية القرآنية:

﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ (1). فقد ورد في موضوع السلام وكذلك الآية الكريمة ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ (2).

وهي في نفس الموضوع. وقد يبدو التعارض بين الآيتين وفعلا قد حكم بعض العلماء على أن الآية الكريمة قد نسخت الآية الأولى ومنهم من قال: إنه مهادنة الأعداء وإن سالمونا ومنهم من قال بالجواز.

والواقع أنه ليس بين الآيتين أي تعارض مطلقا ودعوى النسخ مردودة أيضا ذلك أن كل آية تعالج حالة غير الحالة التي تعالجها الآية الأخرى فإن كانت مصلحة المسلمين في الحرب حاربوا وإن كانت مصلحتهم في السلم سالموا. فالآيتان محكمتان ولا تعارض بينهما فالعمل بهما أولى ونلاحظ أن إعمال الأدلة يتجلى فيه قوة المفسر، فالتعامل مع الأدلة بإعمالها فيه سعة اطلاع وقدرة على التوفيق لا يستطيع إلا من أوتي علما وقدرة على استيعاب الأدلة

---

(1) الأنفال: 15. وراجع: جامع البيان للطبري (24/10)، الدر المنثور للسيوطي (199/3)، زاد المسير (350/3).

(2) محمد: 35. وانظر: تفسير ابن كثير (320/2)، نواسخ القرآن لابن الجوزي ص 747.

كلها بخلاف الذي يلجأ إلى القول بالتعارض والنسخ فالقول بالنسخ وإسقاط أحد الأدلة لا يكلف تفكيرا ولا معاناة الجمع بين الأدلة بل قد يكون ذلك لا دلالة عليه من نقل ولا عقل.

خامسا: معرفة الناسخ والمنسوخ

معنى النسخ: هو رفع حكم شرعي بدليل شرعي [1] متأخر ومن المتفق عليه أنه لا يجوز لمسلم أن يفسر كتاب الله دون معرفة ناسخه من منسوخه، فقد يقرر حكما ثم يتبين أن هذا منسوخ فيحرم العمل به لأن العمل بالمنسوخ باطل بعد ورود الناسخ. وخير الأمثلة الجلية عليه ما ورد في سورة النساء ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ [2].

فقد نسختها الآية القرآنية من سورة النور: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ [3].

---

(1) أصول الفقه الشيخ أبو زهرة ص: 185. ومباحث في علوم القرآن أ/ مناع القطان ص: 232.

(2) النساء: 15. وراجع: الإحكام للآمدي (1664/2)، المستصفى للغزالي (10/1)، المعتمد لأبي الحسين البصري (392/3).

(3) النور: 02.

وبهذا أصبح الزاني والزانية هو جلد مائة جلدة بعد أن كان الجزاء الحبس في البيوت فلا يصح الاستشهاد بالآية الواردة في سورة النساء كعقوبة للزانية.

أنواع التفسير الموضوعي

وينقسم التفسير الموضوعي إلى ثلاثة أنواع هي:

أولا: جمع الآيات القرآنية التي تتناول قضية واحدة بأساليب مختلفة عرضا وتحليلا ومناقشة وتعليقا، وبيان حكم القرآن فيها.

والمفسر على هذا النحو يجعل همه الموضوع ذاته وما يؤدي إليه فلا يشغل نفسه بذكر القراءات ووجوه الإعراب، وصور البلاغة إلا بمقدار صلتها بالموضوع وما يخدم منه. وهذا النوع هو أشهر أنواع التفسير الموضوعي وأكثرها تأليفا ودراسة، وإذا أطلق مصطلح "التفسير الموضوعي" فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه [1].

ثانيا: أن يتتبع الباحث كلمة من كلمات القرآن الكريم، ويجمع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم يقوم بتفسيرها واستنباط دلالاتها، واستعمالات القرآن الكريم لها. كما سبق لي وأن بينت ذلك.

وقد اهتمت بهذا الموضوع من التفسير كتب الأشباه والنظائر: إلا أنها وقفت عند حدّ بيان دلالة الكلمة في موضعها من غير ربط بين مواضع

---

(1) مباحث في التفسير الموضوعي: د/ مصطفى مسلم: ص: 27، دراسات في التفسير الموضوعي ص 46، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ــ د/فهد عبد الرحمن الرومي (862/3)، المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم د/كامل سعفان ص 5.

ورودها، واستعمالاتها في كل موضع فبقي تفسيرهم للكلمة في دائـــرة الدلالة اللفظية.

ثم اتسع هذا اللون من التفسير فتتبع المفسرون الكلمة وحاولوا الربط بين دلالتها في مختلف المواضع وأظهروا بهذه الطريقة معاني جديدة وألوانا من البلاغة ووجوها من الإعجاز القرآني، واستنبطوا دلالات قرآنية دقيقة لا تظهر بغير هذا المسلك[1].

النوع الثالـــث: هو تحديد الموضوع الذي تتناوله سورة قرآنية واحدة ثم دراسة هذا الموضوع من خلال تلك السورة وحدها، ومن المعلوم أن لكل سورة من السور القرآنية شخصيتها المستقلة وأن لها هدفا واضحا ترمي إلى إيـــضاحه وبيانه. وإدراك هدف السورة يكشف للباحث معاني دقيقة، ومناسبات لطيفـــة وصورًا بليغة. هذا وسوف أسوق بعض الأمثلة التي تنـــدرج تحـــت التفـــسير الموضوعي لتكون نماذج واضحة على وحدة الموضوع ووضوح المعنى.

---

(1) ومن المؤلفات على هذا النوع من التفسير:

1 ــ المصطلحات الأربعة في القرآن: الإله، الرب، العبادة ،الدين لأبي الأعلى المودودي.

2 ــ كلمة " الحق " في القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبد الرحمن الراوي.

3 ــ (الحمد) في القرآن الكريم د/ محمد محمد خليفة.

4 ــ تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم (الحس، والعقل، والقلب، واللـــب، والفؤاد) للدكتور محمد الشرقاوي.

المثال الأول: ما ورد في تفسير الإمام الفخر الرازي لقوله تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾[1].

قال: المسألة الثالثة: اختلفوا في أن إبليس هل كان من الملائكة ؟ قال بعض المتكلمين، ولاسيما المعتزلة، إنه لم يكن منهم، وقال كثير من الفقهاء إنه كان منهم، واحتج الأولون بوجوه:

أحدها: أنه كان من الجن، فوجب ألا يكون من الملائكة، وإنما قلنا إنه كان من الجن لقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ [2]. واعلم أن من الناس من ظن أنه لما ثبت أنه كان من الجن وجب ألا يكون من الملائكة لأن الجن جنس مخالف للملك، وهذا ضعيف، لأن الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر ولهذا سمي الجنين جنينا لاجتنائه ومنه الجنة لكونها ساترة، ولكونها مستترة بالأغصان، ومنه الجنون لاستتار العقل، فثبت أن هذا القدر لا يفيد المقصود، فنقول: لما ثبت أن إبليس كان من الجن وجب ألا يكون من الملائكة لقوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم

---

(1) البقرة: 34. وراجع: زاد المسير لابن الجوزي (64/1).

(2) الكهف: 50.

وانظر: التفسير الموضوعي ــ د/أحمد إبراهيم ص 67، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ، 1971م.

كانوا يعبدون، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن﴾ [1].

وهذه الآية صريحة في الفرق بين الجن والملك [2].

فالفخر هنا يستخدم المنهج الموضوعي في مناقشته للمشكلة فيستند إلى آيات القرآن من سور أخرى في إثبات أن إبليس كان من الجن أولا ثم في إثبات الفرق بين الجن والملك ثانيا.

المثال الثاني: نرد هذه الأمثلة من منهج التفسير الموضوعي لهذه الآيات التي تعرض إليها فضيلة الشيخ محمود شلتوت [3].

أ ــ ففي صدد الحديث عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [4].

نجده ــ رحمه الله ــ يعقد فصلا بعنوان "كلمة البر" في القرآن ومدلولها: ويقول فيه: وردت كلمة "البر" في مواضع متعددة من القرآن الكريم: منها هذه الآية ومنها قوله تعالى: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، ولكن البر من اتقى﴾[5].

---

(1) سبأ: 40.

(2) مفاتيح الغيب للرازي ــ (313/2).

(3) تفسير القرآن الكريم ــ محمود شلتوت ص: 79، 80.

(4) البقرة: 177.

(5) البقرة: 177. وانظر: الدر المنثور للسيوطي (173/1)، البحر المحيط (3/2).

وقوله تعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾[1] ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾[2]. ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى ﴾[3].

وقد وصف الله ﷻ نفسه بأنه ﴿ هو البر الرحيم ﴾ ووصف الملائكة بأنهم ﴿ كرام برررة ﴾.

ووصف العباد المتقين بأنهم أبرار، والفاسقين بأنهم فجار: ﴿ إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم ﴾ [4].

وجعل كتاب الأبرار في مقابلة كتاب الفجار، هذا في "سجين" وذاك في "عليين". ومن هذا يتبين أن "البر" بالنسبة للعبد هو جماع الخير الذي يشمل المعاني النفسية والأخلاق الحسنة، وما ينشأ عنهما من أعمال صالحة طيبة يتقرب بها العبد إلى ربه، وأما بالنسبة إلى الله فهو الثواب والرضا والمحبة الإلهية [5].

ب ــ كما نجده يتحدث عن النداءات الإلهية لجماعة المؤمنين في سورة آل عمران، ثم يعقد فصلا بعنوان: "دلالة النداء من الله" ويقول فيه: «لله سبحانه وتعالى نداءات كثيرة في القرآن الكريم وللنداء عامة دلالة على كمال

---

(1) المائدة: 02. تفسير ابن كثير (6/2)، زاد المسير لابن الجوزي (277/2).

(2) البقرة: 44. مفاتيح الغيب للرازي (48/3).

(3) المجادلة: 9. وراجع: تفسير القرطبي (294/7)، مختصر تفسير ابن كثير (463/3).

(4) الانفطار: 14. وانظر: صفوة التفاسير للصابوني (829/3).

(5) من تفسير القرآن الكريم لفضيلة الشيخ: محمود شلتوت ص: 79 ــ 80.

العناية وعظيم الاهتمام بالمطلوب، وبالمنادى، وأمر ذلك في جميع اللغات معروف ومشهور. وقد نادى الله الأشخاص، والطوائف، والشعوب، ونادى الناس جميعا، ونادى أشياء مما خلق.

ونداؤه للعقلاء أفرادا وجماعات نداء تكليفي يتضمن أمرا يطلب فعلا أو نهيا يطلب تركا، وأما نداؤه لغير العقلاء مما خلق، فهو نداء تكويني تصور به مطاوعة الكائنات لخالقها، وخضوعها لسننه، كما يخضع المنادى حين ينادى ممن فوقه، ومن هذا النوع الأخير: ﴿يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي﴾ (1). ﴿يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ (2). ﴿يا جبال أوبي معه﴾ (3).

وقد جاء نداؤه للعقلاء على أنواع:

نداء الأشخاص في القرآن

1 ــ نداء لأشخاص بأسمائهم، وهذا النوع قد قصه الله علينا في كتابه بالنسبة لبعض الأنبياء السابقين، وناداهم بأسمائهم استنهاضا أو تنبيها إلى خطر ما كلفوا به، واصطفوا لأجله، أو تهدئة لروعهم وتسكينا لأفئدتهم:

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ (4).

---

(1) هود: 44. وانظر: تفسير القرآن الكريم للشيخ شلتوت ص 79 ــ 80 ــ ط4 ــ 1966 ــ دار القلم القاهرة.

(2) الأنبياء: 69.

(3) سبأ: 10. وراجع: التفسير الموضوعي ــ أحمد إبراهيم ص 27.

(4) مريم: 12.

﴿يا دواد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (1).

﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ (2).

2 ــ نداء بالوصف الذي يحدد المهمة ويبعث على القيام بها وعدم التأثر بشيء في سبيل أدائها:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (3).

﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ (4).

وهما خطابان لمحمد ﷺ و لم يوجد في القرآن خطاب له بوصف الرسالة سوى هذين.

وقد ناداه بوصف البنوة في مواضع متعددة... النداء بـ "يا أيها الناس" و"يا بني آدم".

3 ــ وكما نادى الأشخاص على النحو الذي ذكرنا، نادى الناس جميعا مرة بوصف الإنسانية العامة، ومرة بوصف البنوة للأب الأول، والذي نلاحظه هنا أن النداء بوصف الإنسانية كان أكثره فيما يختص بالأصول العامة للدين،

---

(1) سورة ص 26. وانظر: أضواء البيان للشنقيطي (25/7).

(2) القصص: 31. وراجع: تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (13/6).

(3) المائدة: 67. وانظر: الدر المنثور للسيوطي (398/2)، تفسير ابن كثير (78/2).

(4) المائدة: 41. تفسير الطبري (304/10)، سنن البيهقي (246/8).

من الإيمان بالله والوحي، والرسالة والإيمان باليوم الآخر، وما يرجع إلى شيء من هذين:

﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (1).

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ (2).

﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم، وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض، وكان الله عليما حكيما﴾ (3).

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة ثم من علقة، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾ (4).

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد﴾ (5).

---

(1) البقرة: 21. وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (47/1)، صفوة التفاسير (51/1).

(2) النساء: 01. وانظر: مفاتيح الغيب للرازي (164/5).

(3) النساء: 170. وانظر: مجاز القرآن للزجاج (143/1)، جامع البيان لطبري (415/9).

(4) الحج: 05. وراجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (6/12)، صفوة التفاسير للصابوني (444/2).

(5) فاطر: 15. وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (307/7)، تفسير القرطبي (4343/14).

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (1).

وأما نداؤهم بوصف البنوة لآدم، فقد وجه إليهم تحذيرا من مكايد الشيطان الذي وقع فيها أبوهم من قبل: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما﴾ (2).

ووجه إليهم امتنانا على نوعهم بما يميزهم الله به، عن سائر الحيوان من لباس يستر العورة وريش يتزينون به.

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (3).

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا﴾ (4).

جـ ـ وفي صدد الحديث عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين. فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق...﴾ (5).

يعقد فصلا بعنوان: الوزن والميزان: مواردهما في القرآن وما يراد بهما.

---

(1) الحجرات: 13. وانظر: مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (397/3).

(2) الأعراف: 27. وانظر: تفسير الطبري (390/12)، زاد المسير لابن الجوزي (184/3).

(3) الأعراف: 31. وانظر: تفسير القرطبي (189/7)، صفوة التفاسير للصابوني (691/1).

(4) الأعراف: 26. وانظر: الكشاف للزمخشري (97/2)، معاني القرآن للفراء (375/1)، تفسير الطبري (364/12).

(5) الأعراف: 6، 8. وانظر: تفسير الطبري (30.4/12)، زاد المسير لابن الجوزي (169/3).

يقول فيه: «أما الوزن، فقد دلت عليه الآية التالية لآية السؤال: ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ والوزن [1]: عمل يعرف به قدر الشيء، وقد وردت مادة الميزان والوزن في كثير من آيات القرآن الكريم وبتتبع مواضعها نستطيع أن نردها إلى الأحوال الآتية:

جاءت كلمة الميزان، وكذلك كلمة الوزن مقترنتين بالكيل فيما يجري بين الناس عادة من تبادل وبيع وشراء، ويراد منهما في هذا المقام الحث على إقامة القسط بين الناس في التعامل. وقد كان أول قوم وجه إليهم هذا الحث، فيما نعلم، قوم شعيب وجه في تبليغ رسالة الله وتحذيرهم من سوء المعاملة عن طريق بخس الكيل والميزان أو عن طريق التطفيف فيهما، وقد جاء في هذه السورة نفسها.

﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ [2].

وجاء في سورة من القرآن، عرفت باسم سورة المطففين، قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [3].

---

(1) تفسير القرآن الكريم. محمود شلتوت ص: 113. ببعض تصرف.

(2) هود: 84. وراجع: تفسير القرطبي (85/9)، صفوة التفاسير (42/2).

(3) المطففين: 1، 6. وانظر: البحر المحيط (440/8).

ومن البين أن المراد بالميزان والوزن في هذا المقام، الآلة التي يتواضع عليها الناس ويعرفون بها مقدار ما يأخذون وما يعطون، وهي الآلة المعروفة باسم الميزان[1].

وقد جاءت الكلمتان أيضا مقترنتين بذكر الخلق والتكوين.

﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ [2].

﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون، وجعلنا لكم فيها معايش، ومن لستم له برازقين، وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [3].

ومن البين أن المراد في هذا المقام بكلمتي الوزن والميزان، ما يرجع إلى أحكام النظام وتقدير الخلق وربط الكائنات بسنن من التناسب والاعتدال.

وقد جاءت الكلمتان أيضا مقترنتين بالكتاب الذي أنزله الله وأرسله مع رسله. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾ [4].

وقوله: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ [5].

---

(1) تفسير القرآن الكريم ــ الأجزاء العشرة الأولى لشيخ الأزهر محمود شلتوت ص 465 وما بعدها. وانظر: التفسير الموضوعي د/أحمد إبراهيم ص 32.

(2) الرحمن: 7. وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (8/105 ــ 106).

(3) الحجر: 15.

(4) الشورى:17. وراجع: تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن السعدي ص 100 ــ مؤسسة مكة ــ سنة 1398هـ.

(5) الحديد: 25. وانظر: صفوة التفاسير للصابوني (3/516).

وبذلك كانت سنة الله في كونه وبنائه على الوزن والأحكام كسنته ونظامه في شرعه، فكما أحكم الكون بالميزان، أحكم الشرع بالميزان.

وأخيرا جاءت الكلمتان: الوزن والميزان ـــ في القرآن الكريم ـــ مقترنتين بالأعمال في يوم الحساب... ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**والوزن يومئذ الحق**﴾ [1].

وقوله: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾ [2].

وقوله: ﴿**فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية**﴾ [3]. وهذا هو الميزان الذي يبنى عليه الحساب الأخروي ويقع بناء عليه: إما العذاب وإما النعيم [4].

ولاشك أن المؤلفات في التفسير الموضوعي قد كثرت في العصر الحديث وأصبحت المكتبة القرآنية تزخر بالمؤلفات فيه فهو ميدان خصب للباحثين.

ولخدمة الباحثين في هذا الموضوع، فقد اتجهت العناية إلى جمع الآيات القرآنية، وترتيبها، حسب موضوعاتها، وذلك كما فعل الأستاذ المرحوم الشيخ محمود شلتوت في تفسيره، للأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم.

وقد بدأ ذلك بإصدار رسالتين بعنوان: القرآن والمرأة. وكان ذلك نواة لما يسمى بالتفسير الموضوعي الشامل للكتاب الكريم كله. والذي نعتقد أننا في

---

(1) الأعراف: 07.

(2) الأنبياء: 47. وانظر: تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ـــ (82/17 ـــ 83)، الدار التونسية للنشر ـــ سنة 1979م

(3) سورة القارعة: 6 ـــ 8. التفسير الكبير للرازي (72/31)، تفسير أبي السعود (282/5).

(4) تفسير القرآن الكريم ـــ محمود شلتوت ـــ ص: 465.

حاجة ماسّة إليه في عصرنا الحاضر، ولا يظن أحد أننا بذلك نحط من شأن المنهج التقليدي في التفسير، فإننا نؤمن بأنه لابد منه للمتخصصين في علوم القرآن الكريم، لأن ترتيب آياته توقيفي وعلينا أن نحاول أن نفهم ونشرح للناس أن هذا الترتيب بالرغم من تنوع الموضوعات التي يتناولها أي جزء من القرآن ــ متناسق بشكل ملحوظ.

ولعل إمكان تفسير القرآن بكل من الطريقتين، الموضوعية والتقليدية ــ نوع من أنواع الإعجاز الذي تفرد به دون سائر الكتب، فليس هناك ــ غير القرآن الكريم ــ كتاب يشتمل سياقه على موضوعات متعددة، دون أن يفقد سلاسته، ودون أن يشعر القارئ له بفجوات بين الآية وما تليها.

وليس هناك كتاب غير القرآن الكريم يمكن أن تجمع بعض أجزائه المتناثرة لتكون موضوعا متكاملا[1].

والتفسير الموضوعي للقرآن، هو الأقدر على الوفاء بمقتضيات المنهج الاجتماعي وليس التفسير الطولي، ونعني به تفسير القرآن جزءا بعد جزء، حزبا بعد حزب، سورة بعد سورة، آية بعد آية، لفظا وراء لفظ حرفا إثر حرف، من ابتداء الفاتحة، والبقرة، إلى سورتي الفلق والناس، وظهر عند القدماء بدايات للتفسير الموضوعي، وذلك مثل، التباين في أقسام القرآن لابن القيم، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومفردات القرآن للراغب الأصفهاني، والناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس وأسباب النزول

(1) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر د/فهد بن عبد العزيز (983/3)، التفسير: معالم حياته، منهجه اليوم ــ أمين الخولي ص 35 ــ 44، الفكر الديني في مواجهة العصر ــ عفت الشرقاوي ص 443.

للواحدي، كما ظهر عند المعاصرين كثير من هذه الموضوعات دون تحليل شامل لآيات القرآن وبنائها في أكثر ما كتب عن النظم المعرفية في الإسلام، وملكية الأرض، وأحكام الربا وما إلى ذلك.

ولم تقتصر جهود العلماء على الجوانب اللغوية، للكلمات القرآنية، بل جمعوا الآيات التي تشترك في موضوع واحد أو قضية واحدة كما سبق لي وأن ذكرت وذلك كالنسخ والقسم والمشكل والأمثال وغيرها فجمعوها ثم تناولوها من الجانب المراد.

ونجد "التفسير الموضوعي" في صور متعددة عند القدماء منها:

تفسير القرآن بالقرآن

إذ أن جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد، وتفسير بعضها ببعض، هو أعلى درجات التفسير الموضوعي، وأعظمها ثمرة وأكثرها فضلا. وكان أسبق الناس إلى ذلك رسول الله ﷺ فقد كان يفسر لأصحابه القرآن بالقرآن، والأمثلة على ذلك كثيرة.

فقد روى البخاري [1] «**أن رسول الله ﷺ فسر مفاتيح الغيب في قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾** [2] فقال: **مفاتح الغيب خمس ﴿إن**

---

(1) صحيح البخاري: كتاب التفسير (193/5)، صحيح ابن حبان (69/1 ــ 70)، مجمع الزوائد (263/8).

(2) سورة الأنعام: 59، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (146/4)، تفسير القرطبي (5/7)، تفسير ابن كثير (474/6)، تفسير الطبري (401).

الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [1] » [2].

وأدرك ذلك الصحابة رضوان الله عليهم فقد كانوا يجمعون الآيات المتشابهة ويفسرون بعضها ببعض فإن أشكل عليهم تفسيرها رجعوا إلى الرسول ــ ﷺ ــ فبينه لهم.

وهناك فرق بين التفسير الموضوعي، والتفسير المقارن، فهذا الأخير يعمد المفسر فيه إلى الآية أو الآيات فيجمع ما حول موضوعها من نصوص قرآنية أو نصوص نبوية التي تشمل الأحاديث، وسواء أكانت هذه النصوص أقوالا للصحابة أو التابعين أو الكتب السماوية الأخرى، ثم يقارن بين هذه النصوص ويوازن بين الآراء ويستعرض الأدلة، ويبين الراجح وينقض المرجوح.

وبهذا يظهر أن مجال هذا الأسلوب أوسع، وميدانه أفسح وأن له وجوها متعددة للمقارنة، منها:

1 ــ المقارنة بين نص قرآني، ونص قرآني آخر اتفاقا أو ظاهره الاختلاف.

ومن هذا النوع: علم تأويل مشكل القرآن[3]، وقد تكون المقارنة بين النصين القرآنيين لإبراز معاني لا يُوصل إليها أحد النصين إذ إن أحدهما مكمل

---

(1) سورة لقمان/34.

(2) الحديث أخرجه البخاري (396/8) في تفسير سورة لقمان ــ باب قول الله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾، وكذا في تفسير سورة الأنعام: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾

(3) انظر مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)، طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور حاتم الضامن، وكذا البيان في غريب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري (ت577هـ)، طبع في مجلدين بتحقيق طه عبد الحميد.

للآخر. وقد يظهر ذلك جليا في جانب القصص القرآني حيث إن جمع نصوص القصة الواحدة في القرآن يؤدي إلى تكامل القصة وترابط الأحداث.

فضلا عن أن المفسر يستنبط الأسباب ويكشف عن الأسرار والحِكَم التي من أجلها كان الاختلاف بين التعبيرين، والمغايرة بين الأسلوبين، بلفظ مرة وبأخرى تارة، وبصيغ مختلفة.

2 ــ المقارنة بين نص قرآني وحديث نبوي يتفق مع النص القرآني أو ظاهره الاختلاف كذلك، ويبحث العلماء ذلك في المؤلفات في مشكل القرآن ومشكل الحديث أيضا.

3 ــ وقد تكون المقارنة بين نص قرآني، وبين نص في التوراة، أو نص في الإنجيل لإظهار فضل القرآن ومزيته، وهيمنته على الكتب السابقة والمؤلفات على هذا الأسلوب أيضا كثيرة وأغلبها حديث مثل:

القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم "لموريس بوكاي" وكتاب "محمد في التوراة والإنجيل والقرآن" للأستاذ: إبراهيم خليل وغير ذلك.

4 ــ وقد تكون المقارنة بين أقوال المفسرين، حيث يستطلع آراء المفسرين في الآية الواحدة مهما اختلفت مشاربهم وتعددت مذاهبهم، ويذكر أدلة كل قول وحججه، ويناقش الأقوال، وينقد الأدلة ويرجح ما يراه راجحا ويبطل ما يرى بطلانه. وأحسب أن من أقدم المفسرين الذين سلكوا هذا المسلك، هو إمام المفسرين الطبري، حيث جرى على ذكر أقوال أهل التأويل في كل آية ثم يذكر أدلة كل قول، ويقارن بينها، ويرجح أحدها ويضعف ما يرى ضعفه.

ويظهر التباين جليا بين المفسرين ـــ من حيث الاتجاهات، والمنـــاهج، فمنهم من التزم في تفسيره، بالتفسير بالمأثور، والنقل عن أئمة السلف، والالـتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ومنهم من التزم بمناهج المذاهب الأخرى، ومنهم من أفسح لنفسه، فتوسع في التاريخ والقصص والإسرائيليات، ومنهم مـــن اعتـــنى بالبلاغة ووجوه البيان، ومنهم من توسع كثيرًا في آيات الأحكام، ومنهم مـــن اعتنى بالآيات الكونية، والتفسير العلمي، ومنهم من استطرد في المسائل النحوية، ومنهم من توسع في علم الكلام، والفلسفة، ومصطلحات الصوفية... ومـــا إلى ذلك. وهذا اللون من التفسير وإن جمع بين مناهج عـــدة، يســـمى بالتفســـير التحليلي الذي يعتمد على وحدة الآية(1).

ولعل إمكان تفسير القرآن الكريم بكل هذه الطرق والاتجاهات هو نـوع من أنواع الإعجاز الذي تفرد به هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديـه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ـــ دون سائر الكتب ولذلك قال النـبيﷺ: **«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كـان**

---

(1) دراسات في التفسير الموضوعي: د/ أحمد جمال العمري ص: 46. وراجع: الإتقان في علـوم القرآن (120/1 ـــ 133)، نزهة العيون النواظر لابن الجوزي ص 83، جامع البيان للطـبري (564/2 ـــ 565)، طبقات المفسرين للداودي (114/2)، طبقات المفسرين للســـيوطي ص 96، مذاهب التفسير الإسلامي ـــ جولد تسيهر ـــ ترجمة د/عبد الحليم النجار ص 109.

الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[1].

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: «ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه للعادة في أسلوبه، وفي بلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، يدل على صحة دعواه، فعم نفعه من حضر ومن غاب، ومن وجد، ومن سيوجد» [2].

وعلم الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ ولا يشوبه نقص وعلم الإنسان محدود، يقبل الازدياد ومعرض للخطأ.

ونصوص الوحي قد نزلت بألفاظ جامعة فقد قالﷺ : **«بعثت بجوامع الكلم»** [3]، مما يدل على أن النصوص التي وردت عن النبي ﷺ تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضعها التي قد تتابع في ظهورها جيلا بعد جيل.

و ختاما لهذا الموضوع أود أن أسجل بعض النقاط الأساسية التي تتعلق بالتفسير الموضوعي.

---

(1) رواه البخاري (5/9) في فضائل القرآن ــ باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، وفي الاعتصام ــ باب قول النبي «ﷺبعثت بجوامع الكلم »....

ومسلم رقم 152 كتاب الإيمان ــ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمدﷺ.

(2) فتح الباري لابن حجر: جـ 9 ص: 7.

(3) أخرجه البخاري، ومسلم في المساجد برقم 5423 ــ والترمذي في السير برقم 1553. وانظر: معالم السنن للخطابي (7/7).

1 ــ إعطاء الأولوية للموضوعات التي تلبي حاجة العصر مثل: الأرض، المال، الفقر، الغنى، التقدم، التخلف، الأمة، العمل، الإنسان، بحيث يتحول وجداننا المعاصر إلى نظريات وتصورات قادرة على تحليل أزمات العصر.

2 ــ تحليل المعاني وتصنيفها في مجموعات رئيسية، حتى يمكن بناء الموضوع، والتمييز بين المعاني الرئيسية والمعاني الفرعية.

3 ــ التفسير يكون بالمعنى والقصد، وليس بالحرف واللفظ، فالوحي مقاصد كما يقول علماء الأصول، وبواعث، واتجاهات، وأهداف، كما يقول المحدثون فالكليات الخمس، المحافظة على النفس، والعقل والدين، والعرض، والمال هي مقومات الحياة الخمس. فالمصلحة أساس الشرع «لا ضرر ولا ضرار» (1) و«الضرورات تبيح المحظورات» و«الأصل في الأشياء الإباحة».

4 ــ التفسير بالتجارب الحية التي يعيشها المفسر، فالتفسير جزء من الحياة والحياة مادة علم التفسير، ولا تفسير إن لم يكن لدى المفسر تجارب يعيش حياته ويحياها بصدق.

وعليه فعلى المفسر أن يتحرى الصدق والصواب، وأن يخلص نيته لله في تبيين الحق للناس من أجل هدايتهم، وأن يعلم خطورة ما يتناوله ويعبر عنه فهو عندما يقول: هذا المعنى هو الذي يشير إليه قوله تعالى، فهو يفسر كلام رب

---

(1) قال النووي حديث حسن رواه ابن ماجة والدارقطني وغيرهما مسندا
انظر الجامع الصحيح رقم: 7393. والإرواء: 888.

العالمين، لذا يجب عليه أن يتذكر دائما قول النبيﷺ: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**» (1).

كما ينبغي أيضا أن يتصف المفسر أو الباحث بالصبر مع توفر الكفاءة العلمية المكتسبة حتى يميز الحق من الباطل ويقبله ويلتزم بالموضوعية ومعناها هنا: حصر المعلومات ودراستها من غير تحيز لفكرة أو رأي سابق مع التقيد بالمنهج العلمي في التوثيق والاقتباس والإحالات(2).

ترجمة القرآن الكريم

كثيرا ما يدور في أذهاننا تساؤل حول ترجمة القرآن من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى، ما حكم هذه الترجمة؟ ما مدى إمكانها؟

ونود أن نقرر بأن ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى ضرورية وواجبة لأنها الطريق الوحيد لإطلاع من لم يتقن العربية على القرآن، وما اشتمل عليه من عقائد وآداب وأحكام، فإذا لم يترجم القرآن إلى اللغات الأخرى، فقد حرمنا منه كثيرا من المسلمين، الذين يسعدهم معرفة ما اشتمل عليه القرآن، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو:-

ما مدى إمكان ترجمة القرآن؟ وماهي الطريقة المثلى للترجمة الممكنة.

---

(1) أخرجه الترمذي رقم 2951 في التفسير ــ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم 2069.
وفي رواية«من قال في كتاب الله ﷺ برأيه فأصاب فقد أخطأ ».
رواه أبو داود رقم 2652 في العلم ــ باب الكلام في كتاب الله بغير علم

(2) كتابة البحث العلمي صياغة جديدة للدكتور: عبد الوهاب أبو سليمان ص: 19، 20.

الترجمة الممكنة:-

نستطيع أن نفرق هنا بين نوعين من الترجمة:- الترجمة الحرفية، والترجمة التفسيرية.

أولا: الترجمة الحرفية:-

والتي يراد بها ترجمة النص العربي بنص مماثل له لفظا ومعنى، وهذه الترجمة إن أمكن إتقانها من ناحية تخير الألفاظ ودقة التعابير، والتقارب بين الأسلوبين، فإن الشيء الذي يتميز به النص العربي هو "الإعجاز" ولا يمكن لأية ترجمة أن تنقل هذا الإعجاز، هذا جانب، أما الجانب الثاني فهو، أن القرآن قد اشتمل على نصوص تشريعية ذات طبيعة مرنة يمكن تفسيرها بطرق مختلفة، وقد اختلف الصحابة ومن جاء بعدهم في تفسير تلك النصوص، ولا زالت هذه النصوص قابلة للتفسير أيضا، ولا بد للمترجم عند ترجمته للقرآن أن يتخير معنى من المعاني التي يحتملها النص ويتجاوز بقية المعاني وفي هذه الحالة تعتبر الترجمة باطلة لعدم استيعابها النص الأصلي استيعابا كاملا وأمام هذا الواقع الذي لا مجال لنكرانه ندرك أن الترجمة الحرفية للقرآن غير ممكنة لأنها لا يمكن أن تعبّر حقيقة عن النص الأصلي إلا أن هذه الاستحالة لا تمنعنا من تفسير القرآن بطريقة ينتفي معها ذلك المحظور وهي: الترجمة التفسيرية.

ثانيا: الترجمة التفسيرية:

ويراد بهذه الترجمة تفسير النص القرآني، بحسب رأي المترجم، واجتهاده بحيث ينقل المترجم إلى اللغة التي يريد الترجمة إليها، ما يفهمه من النص القرآني فيتخير الألفاظ المعبرة عن ذلك المعنى الذي ترجم في ذهنه، وهذه الترجمة هي نوع من التفسير إلى لغة أخرى... وهي قابلة للخطأ والصواب وعلى من يقرأ

ترجمة القرآن أن يتوضح في ذهنه أنه يقرأ الترجمة وليس القرآن، فالقرآن قد نزل بلغة عربية، والنص العربي، هو الحجة ومنه تستنبط الأحكام، أما الترجمة فليست بحجة ولا يستنبط منها أي حكم، لأن صياغة الترجمة خاضعة لإرادة المترجم، وقد تختلف الآية الواحدة بين ترجمة وأخرى، وفي هذه الحالة يبقى النص الأصلي، هو المصدر الذي يعتمد عليه ويرجع إليه.

شروط الترجمة الجائزة.

يشترط لكي تكون ترجمة القرآن جائزة ما يلي:

أولا: أن يكون المترجم قادرا على الترجمة، بشكل دقيق وصحيح، ولا يتوفر هذا إلا لمن تعمق في الدراسات العربية وتذوق الأسلوب القرآني، وفهم اللمحات القرآنية التي تعجز القواميس اللغوية عن تفسيرها.

ثانيا: أن يكون المترجم، بعيدا عن أيّة شبهة في عقيدته وسلوكه.

ثالثا: الأفضل أن تتم الترجمة القرآنية على يد "لجنة علمية متخصصة" بحيث تكون الترجمة خاضعة، لنوع من الدقة والعناية والضبط، ومثل هذه الترجمة توحي بالثقة، ولهذا يفضل منع الترجمة الفردية للقرآن لئلا يؤدي تعدد الترجمات إلى إبراز الاتجاهات الشخصية المعبرة عن آراء المترجم ويا حبذا لو قامت هيئات رسمية بتكليف لجنة متخصصة لترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية وأخضعت هذه الترجمة إلى التدقيق والمراجعة قبل إجازتها وطبعها، لضمنّا ترجمة للقرآن أقرب إلى الصواب[1].

---

(1) ظهرت ترجمات متعددة للقرآن وكلها ترجمات تفسيرية بها نقص أو زيادة وليست كاملة

رابعا: أن تكون الترجمة خاضعة للشروط التي يجب توافرها في التفسير، من حيث اعتمادها على الروايات المأثورة وإخضاعها لقواعد اللغة العربية وموافقتها لروح الإسلام، وفي جميع هذه الأحوال تبقى الترجمة" ترجمة تفسيرية" للقرآن وليست هي القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

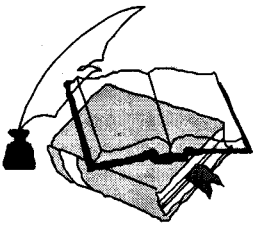

منها ترجمة إلى الفرنسية عام 1647، وترجمة إلى اللغة الألمانية عام 1616 والهولندية عام 1641 والروسية1776، والإنجليزية سنة 1734، والفارسية 1821، والتركية عام 1913.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	أ
التعريف العام بعلوم القرآن	1
تعريف القرآن	2
السورة والآية	4
تقسيم العلماء لسور القرآن الكريم	5
ترتيب السور القرآنية	5
نزول القرآن الكريم	8
أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم	10
جمع القرآن وتدوينه	11
ظاهرة الوحي	15
تعريف الوحي	15
أنواع الوحي	16
رسم المصحف	18
فوائد الرسم العثماني	20
المكي والمدني من آيات القرآن	21
الناسخ والمنسوخ	23
تعريف النسخ	24
أنواع الناسخ والمنسوخ	25
أسباب النزول	26
اختلاف روايات أسباب النزول	29
تعدد الأسباب والنازل واحد	30
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب	30
أشهر المؤلفات في أسباب النزول	32
شكل المصحف وإعجامه	33
القراءات والأحرف	37
شروط القراءات	38

فهرس الموضوعات

أنواع القراءات	40
حديث الأحرف السبعة	41
المراد بالأحرف السبعة	42
القراء العشرة ورواتهم	44
سر إعجاز القرآن الكريم في فواتح السور	47
تأويل فواتح السور	51
المحكم والمتشابه من القرآن	54
الحكمة من وجود المتشابه في القرآن	57
إعجاز القرآن الكريم	59
القول بالصرفة	60
الإعجاز العلمي بين المجيزين والمانعين	63
الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي	63
أصول التفسير المتفق عليها عند علماء المسلمين	67
طبقات المفسرين	68
الوضع في التفسير	70
أسباب نشوء وانتشار الوضع	73
أثر الوضع في التفسير بصفة عامة	76
عوامل الاتجاهات في التفسير	77
معنى الإسرائيليات	83
مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير وتطوره	87
آثار الإسرائيليات في التفسير وقيمة ما يروى منها	93
تقسيم الإسرائيليات باعتبار موافقتها لما في شريعتنا ومخالفتها له	97
حكم رواية الإسرائيليات	103
موقف المسلمين إزاء هذه الإسرائليات	107
التفسير الموضوعي	110
تعريفه	110

فهرس الموضوعات

أصول المنهج في التفسير الموضوعي	111
أنواع التفسير الموضوعي	121
التفسير الموضوعي في صور متعددة عند القدماء	134
ترجمة القرآن الكريم	141
الترجمة الحرفية	141
الترجمة التفسيرية	142
شروط الترجمة الجائزة	142
قائمة المصادر والمراجع	

❖ ❖ ❖

المصادر والمراجع

1-الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة الطبعة الرابعة سنة 1978م.

2-أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة سنة 1959م.

3-إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني، القاهرة 1963م.

4-البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

5- تاريخ القرآن، أبو عبد الله الزنجاني، الطبعة الثالثة، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1969م.

6-التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1961م

7- الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد الأنصاري، القرطبي دار الكتب القاهرة، 1938م، ط1.

8- السبعة في القراءات ابن مجاهد تحقيق د شرقي، دار الكتب القاهرة، 1938 م، ط1.

9- الظاهرة القرآنية مالك بن نبي ترجمة، د. عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 1985م.

10- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
11-لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.
12-اللسان لابن منظور مصورة عن طبعة بولاق القاهرة.
13-لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين، القاهرة 1972م.
14-مباحث في علوم القرآن، د/ صبحي الصّالح، الطبعة7، دار العلم للملايين، بيروت 1972م.
15-المحكم في نقط المصاحف أبو عمرو الداني، تحقيق د/عزت حسن المطبعة الهاشمية، دمشق 1960م.
16- معاني القرآن يحيى بن زياد الفراء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966م.
17-معجم البلدان ياقوت الحموي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1980م.
18-المفردات في غريب القرآن، الراغب الحسين بن محمد بن الفضل الأصبهاني.
19- مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية القاهرة.
20-موجز علوم القرآن، د/داود العطار، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1979م.